١٩٥٧ .... الوحـدة

من اجل أن نتحـد ، ولكى نتحـد
يجب أن نحـدد الخطـوط الفاصـلة

لينين

كان عام ١٩٥٦ عام ارتفاع شمس الناصرية ·· تأميم قناة السويس ، وهزيمة العدوان الثلاثى ، اجراءات التمصير · كانت التجربة الناصرية تجد لنفسها طريق التقدم وتتشبث به ·· وتندفع ··

·· وكان أيضا عام مد جماهيرى عارم ، وعام الافراج عن المعتقلين الشيوعيين · وتبدو فى الأفق ملامح وضع جديد فى الحركة الشيوعية المصرية ··

يقول مبارك عبده فضل محاولا وصف الساحة الشيوعيه فى هذا الوقت « كان فى الساحة الماركسية المصرية منذ فبراير ١٩٥٥ ثلاثة منظمات رئيسية هى الحزب الموحد الذى تشكل من عدد من المنظمات فى التاريخ المشار اليه ، والحزب الشيوعى المصرى (الرايه ـ كما تعودنا أن نسميه) وحزب العمال والفلاحين (د·ش ـ كما أطلق عليهم على امتداد التاريخ) ·

وكانت هناك مجموعة صغيرة جدا هى مجموعة وحدة الشيوعيين (و·ش) وفى نهاية ١٩٥٦ ظهرت مجموعة ليست جديدة هى مجموعة فوزى جرجس التى أحيت النواة من جديد كانقسام عن الموحد ··· » ·

ويمضى مبارك قائلا « ·· وكان عام ١٩٥٦ هو عام المعارك الكبرى فى مصر ·· وعن أوضاع الشيوعيين فى ذلك العام تم الافراج عن كل المعتقلين ، كما تم الافراج عن الشيوعيين الذين كانوا يقضون فترات سجن ليست طويلة (٣ سنوات فأقل) وفى نفس الوقت بقى فى سجن الواحات أولئك الرفاق الذين كانت فترات سجنهم طويلة »(١) ·

ولن نحاول هنا فحص حالة مصر ولا حالة الحكم فى هذه السنوات المبهرة ، والمليئة بالانتصار والنجاح ، فذلك أمر نتركه لدراسة أخرى ·· نريد هنا ـ وفقط ـ أن نلتقط خيطا واحدا من النسيج المعقد التركيب هو حالة وضعية التكوينات الشيوعية فى هذه الفترة ··

---

(١) مبارك عبده فضل ـ شهادة للتاريخ ـ مخطوط على ورق كراسات مرقم من الصفحات ٥ حتى ٦٤ يبدأ بعبارة تقول « اكتب هذه الصفحات على عجل وفى سباق مع الزمن ورغم ظروف المرض .. ورغم كل النواقص فعزائى اننى اسجلها بموضوعية كاملة آملا تقديمها للدكتور رفعت السعيد ايكمل بها سلسلة مؤلفاته فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية » وينتهى المخطوط بعبارة « مازالت للشهادة بقية لم أتمكن من تسجيلها بعد » ثم تاريخ ١٩٨٤/١١/٢٤ وتوقيع الكاتب ص ٥ .

ولعل أهم ما ميز هذه الوضعية هو ذلك الاندفاع الحاسم نحو الوحدة بين مختلف المنظمات ، وهو اندفاع شمل جميع القواعد بحيث أصبح تيارا لا يقاوم ..

انه عصر الوحدة

بل هو اعصار الوحدة ..

ولقد تميزت عملية التوحد هذه بأنها قد تمت فى اطار واقع سياسى محدد ..

يقول سعد رحمى « عملية وحدة الموحد صادفها عملية نهوض الخط الجديد للناصرية ، وصادفها خلق أيديولوجى جديد ، وفى بوتقة جديدة هى الجانب المشرق للناصرية ، وقد أملت الظروف ذلك ، بمعنى انه لو كان الجانب السلبى للناصرية قد استمر لكان مصير الحزب الموحد قد اختلف .. والحقيقة اننا قد التقينا نحن والآخرين على أرضية الانبهار بالناصرية » (٢) .

ويقول فخرى لبيب « .. من الناحية السياسية كان الاتفاق السياسى العام سهل لان الفترة فترة صعود وطنى واجتماعى ، وكان الخلاف حول الموقف من عبد الناصر قد اختفى لأن معركة ١٩٥٦ والتمصير كانت قد حسمت كثيرا من الأمور .. ولكن وبرغم عدم وجود تمايز أو خلاف حقيقى فى الموقف السياسى الا أن الجذور الفكرية كانت باقية » .

ويقول .. « ففى وحدة الموحد مثلا تمت معركة لتصفية الخلاف السياسى ، ادراكا بأن الأساس السياسى للوحدة هام للغاية ، ودارت خلال معركة التوحيد صراعات سياسية تفصيلية عبر ندوات ومناقشات (فى السجن أساسا ـ المؤلف) ومقالات ودراسات . بينما كان الصراع الذى دار تمهيدا للوحدة الشاملة يدور فقط داخل لجنة الوحدة وبشكل متعجل ، ويكتفى بنشر محاضر مختصرة لتوزع على كادر كان بطبيعة الأوضاع السائدة غارقا فى معارك جماهيرية متتالية ، ومتعطشا للوحدة الى درجة كانت تطغى على أية رؤية خلافية » (٣)

وثمة رؤية أخرى تقول « فى هذه الفترة .. كان هناك اتجاه داخل الموحد لاتمام الوحدة مع المنظمتين الباقيتين خارج الموحد « الراية ،

---

(٢) محضر نقاش رقم (٢) مع سعد رحمى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٣/١١/١٩

(٣) محضر نقاش مع فخرى لبيب ـ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٣/٤/١

و « د· ش » · هذا الاتجـاه كان يضغط من أجله الاشخاص الذين كـانوا أصلا من خارج حدتو ، فقـد كانت عناصر المنظمات الصغيرة تبحث عن سند لهـا ضد تيـار حدتو ·· وبالاضافة الى ذلك كان هناك تيار الوحدة الطـاغى ، والاحساس الجـارف بأهميتها ··

ويمكن القـول بانه خلال ٥٦ ـ ١٩٥٧ سادت داخل الوحد التجربة العمليـة التى خاضتها حدتو ، وتغير خط الوحد الى خط حدتو السـابق بتأييد ثورة يوليو ، بينما بعض عناصر المنظمات الصغيرة التى انضمت للموحـد لم يكونوا فى واقـع الامر قادرين على التعامل مع تجربة عبد الناصر خاصة وانهم كانوا قد كرسوا كامل وقتهم وجهدهم وثقلهم ضد حدتو وضد تاييدها لحركة الجيش » (٤)

ونعود الى شهادة مبارك عبده فضل لنقرأ « مع نهاية ١٩٥٦ وبداية ١٩٥٧ واجـه الشيوعيون المصريون وضعا جـديدا هو البحث من جـديد وبقـوة دفـع أكبر عن وحدة الشيوعيين المصريين ، بعـد أن كانت هـذه المحاولة قـد توقفت جزئيـا بعـد وحدة الموحـد ، أى ما يقرب من عامين كاملين ، حيث كان الشيوعيون فى السجن والاعتقـال فى الجـزء الأكبـر من هذين العامين ، وفى الشهور الثلاثة الاخيرة من عام ١٩٥٦ كان للشيوعيون وبالذات رفاق الموحـد مشغولون بمعركة صد العدوان الثلاثى ·· وبعد ذلك وبعـد الافراج عن المعتقلين وجانب من السجناء (الذين حوكـموا بثـلاث سنوات أو أقل) ارتفعت موجة ضخمة من أجل الوحـدة بحيث يمكن القول أن عام ١٩٥٧ كان مكرسا فى الاساس لانجاح قضية الوحدة · ساعد على ارتفـاع هذه الموجـة معـارك الشعب الوطنية فى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ، ووضوح سياسة عبد الناصر الوطنية التى كانت تتطلب مساندة كاملة من الحركـة الشيوعية المصرية كلهـا ، وقـد أثر أيضا فى هذا الصدد نجـاح تجـربة الحزب الموحـد بما كان يتركه من أثر ايجابى على فكرة الوحدة » (٥)

··· لكن ماذا عن الآخرين ؟

يقول سعد رحمى « لقـد دخلت د·ش عملية الوحدة مكرهة ومرغمـة تحت ضغوط شديدة ويمكن أن نقـول نفس الشىء عن الراية · والحقيقة أن الراية كانت تتصور أن الموحـد جسد بلا رأس ، ومن ثم فان مفكـرى الراية تصوروا انهم سوف يركبون هذا الجسد ويصبحون هم رأسا له »(٦)

---

(٤) محضر نقاش مع أحمد الرفاعى ـ اجريت المناقشة فى عدن فى ١٩٨٣/٤/٢٢

(٥) فضـل ـ المرجـع السـابق ـ ص ٧

(٦) رحمى ـ المرجـع السـابق .

بينما يقول فخرى لبيب « فى تقديرى أن الوحدة تم التوجه اليها دون هزيمة الأفكار الانقسامية ، الوحدة لم تتم على أساس فكر توحيدى ، وانما تمت فى اطار أفكار وممارسات انقسامية قوية · وأعتقد أن الراية كانت فكرتها التقليدية بالنسبة لقضية الوحدة انها هى الحزب ، وليست هناك قضية وحدة وانما المسألة هى مجرد تصفية الأوضاع الانقسامية بتصفية الانقساميين ، ولكن أمام الضغوط الشديدة للوحدة عدلت الراية من كلامها بينما ظل جوهر موقفها كما هو لم يتغير ، لقد قالوا أن « الفاشية » تحولت الى برجوازية وطنية ، ومن ثم فعملاؤها فى مجال العمل السياسى وهم « الانتهازيون » قد تحولوا هم أيضا · فاذا كنا ندعو للجبهة مع البرجوازية الوطنية ، فلا مانع من الوحدة مع الانتهازية ولكن بهدف تصفيتها ·· وهذا فى رأيى مناقض للماركسية التى تقول ان الوحدة مع الانتهازية تغليب لها ·· وفى اعتقادى ان الراية لم تحل نفسها وانما ظلت على علاقات منظمة أفقية ورأسية معا » (٧) ·

ويمضى فخرى لبيب قائلا « أما د·ش فقد كان هناك صراع شديد فى داخلها حول قضية الوحدة ، وقد حسم هذا الصراع داخل مؤتمر ·· ولكن عند اختيارها لمثليها فى قيادة الحزب الجديد اختارت عناصر لم تكن موالية لخط الوحدة تماما ، ذلك أن فكرة وجود تيارين فى الحركة الشيوعية المصرية ماركسى ومتمركس لم تكن قد تلاشت بعد من أذهانهم » ·

ويبقى أن نشير الى ما قاله جمال الشرقاوى « ·· ظهرت فى السجن قصة « الشبح » فقد قيل أن ع·ف محتفظة بعدد من القوات أو على الأقل نظمت عددا من أعضائها فى تنظيم مواز أسميناه « الشبح » ·· وقد أثارت هذه المسألة جدلا كبيرا فى الواحات » (٨) ·

··· فاذا انتقلنا الى الفريق الآخر ··

نجد تفسيرا يقدمه د· فؤاد مرسى (وقد كان السكرتير العام لمنظمة الحزب الشيوعى المصرى التى تصطلح الاطراف الاخرى على تسميتها الراية) يقول :

---

(٧) لبيب ــ المرجع السابق ويلاحظ ان جمال الشرقاوى قد أشار فى محضر نقاش معه (بتاريخ ١٩٨٥/١/١٦) قد أشار الى أن أحد زملاء الراية السابقين قد اعترف له فى سجن القناطر بوجود تنظيم موازى تابع للراية بعد الوحدة .

(٨) الشرقاوى ــ المرجع السابق .

« سرعان ما بدأت مواقف عبد الناصر تتبلور بعد مؤتمر باندونج ، ثم صفقة الأسلحة التشيكية ، والتصدى للأحلاف ومعركة تمويل السد العالى وتأميم قناة السويس ودعوة أمريكا لاسقاط النظام » عند ذلك بلغ تأييدنا لعبد الناصر مدى بعيدا ، وبدأ هو يدخل فى معركة التنمية فطرحنا عليه من خلال المنشورات تأميم المصالح الفرنسية والبريطانية لكنه مصرها ثم أممت بعد ذلك » (٩)

هذا عن الموقف من الحكم ، فماذا عن الموقف من الوحدة يقول د· فؤاد مرسى « عندما أعود بالذاكرة الى هذه الأيام والأحداث فاننى أكتشف شيئا غير مقبول هو الذى مزقنا شر ممزق ، وأعتقد أنه فى ذلك الحين كانت كل المنظمات تحاول أن تحصل على أكبر قدر من فرص القيادة فى الحزب الجديد ، وأن كل منظمة قد حاولت أن تدعى أنها أكثر عددا من الأخريات »(١٠) ·

ولا يملك الكاتب سوى أن يعرب عن احترامه لهذا التقييم المتكامل النظرة وغير الاحادى ···

ويسأل د· فؤاد مرسى فى ذات المناقشة « وكيف تمت الوحدة ؟ هل بصعوبة شديدة ؟ فيجيب نعم بصعوبة شديدة » ·· بينما نلاحظ أن الآخرين يتحدثون عن سهولة عملية التوحيد وسرعتها بل وتسرعها ·

ومن ذات المنظمة (الراية) نمتلك رؤية أخرى ·· يقول داود عزيز « من الناحية السياسية لم يكن هناك أى خطأ فى الدعوة للوحدة بين المنظمات الماركسية ، ولكن كيف يمكنك تحقيق وحدة فعلية بينما تتواجد خلافات نظرية عميقة ؟ لكى تتحقق الوحدة كان من الضرورى وجود صراع أيديولوجى بين مختلف الفرق ، صراع يستهدف توحيد الأغلبية حول رؤية طبيعة الثورة المقبلة وحول أساليب العمل الراهنة وكيفية معالجة الاوضاع السياسية القائمة كان من الضرورى الاتفاق على برنامج ثورى وذلك بعد تقديم نقد ذاتى وخاصة حول الأخطاء النظرية والسياسية التى ارتكبتها كل حركة فى الفترة السابقة على الوحدة · ولكن هذا كله كان يتطلب وقتا ، لكن الجميع كانوا فى عجلة من أمرهم ، ولهذا فان الوحدة التى تمت عام ١٩٥٧ لم تتم على هذه الأسس · كذلك فاننى

---

(٩) الاهالى ١١ ــ ٩ ــ ١٩٨٥ حوار مع د. فؤاد مرسى .

(١٠) محضر نقاش مع د. فؤاد مرسى ــ أجرت المناقشة الباحثة الامريكية د. سيلما بوتمان.تم تسجيل المناقشة صوتيا بالانجليزية وتفريغها فى محضر بالآلة الكاتبة الانجليزية اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٧ ــ ١٢ ــ ١٩٧٩

أعتقد أن بعض العناصر الوثيقة الصلة بالحكام قد أسهموا فى الاسراع بعملية التوحيد كى يزيدوا من احكام القبضة على الحركة ككل ٠

كذلك فقد خرجت المنظمات بعد فترة الاعتقالات والسجون والهجمات الحكومية ضعيفة وقد دفعهم ضعفهم الى قبول وحدة غير مبدئية ٠ وكان طبيعيا أن تتبعثر هذه الوحدة سريعا وأن تعود الانقسامية من جديد»(١١)

أما طليعة العمال أو (ع٠ف) أو (د٠ش) فقد سارت هى أيضا باتجاه التغيير فى السياسة ومن ثم باتجاه الوحدة ٠٠

ففى كتاب « أسئلة وأجوبة حول الموقف الراهن » نجد تأييدا كاملا لسياسة عبد الناصر (١٢) ٠

٠٠٠ وثمة وثيقة أخرى تتمثل فى رسالة وجهها عدد من قادة المنظمة الى عبد الناصر تقول « الموقعون على هذا يكررون لسيادتكم تأييدهم الكامل لسياستكم الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية ولبناء اقتصاد قومى متحرر »(١٣)

أما البرنامج الانتخابى الذى أعدته طليعة العمال لرشحيها السبعة فى انتخابات مجلس الأمة ١٩٥٧ وذلك قبل أن يعترض عليهم جميعا فقد جاء فى مقدمته « تعيش بلادنا الحبيبة فى فترة تاريخية مجيدة ، تخلصت بلادنا من الاحتلال الأجنبى وحصلت على استقلالها » ويتحدث البرنامج عن « حماية المكاسب الوطنية التى أحرزناها شعبا وحكومة »(١٤) ٠

ومع تقارب المواقف السياسية ، وانغماس كوادر المنظمة مع الآخرين فى مجرى عمل جماهيرى متصل ، انتقلت طموحات الوحدة اليهم ٠ وفى هذه الفترة دعت قيادة منظمة طليعة العمال الى مؤتمر لاعلان الحزب ٠

---

(١١) محضر نقاش مع داود عزيز ــ أجرت المناقشة الباحثة الامريكية د. سليما بوتمان ــ تم تسجيل المناقشة صوتيا بالانجليزية وتفريغها فى محضر بالآلة الكاتبة الانجليزية ــ اجريت المناقشة فى ١٩٨٠/١/٨

(١٢) صادق سعد ــ أسئلة وأجوبة حول الموقف الراهن ــ نوفمبر ١٩٥٦ ــ الناشر (لم يذكر) .

(١٣) رسالة الى الرئيس جمال عبد الناصر مكتوبة بالآلة الكاتبة العربية مكونة من ١١ صفحة فولسكاب ــ (نسخة أصلية) .

(١٤) محمد حلمى يس ــ مرشح الدائرة ١٩ ــ كتيب مطبوع بالمطبعة من ثمانى صفحات قطع ٥ر١٢ × ٢١ سم ــ (نسخة أصلية) .

عقد المؤتمر فى صيف ١٩٥٧ ولمدة يومين وضم ٣٤ عضوا · ثلاثة فقط منهم عارضوا اعلان الحزب وقالوا انها محاولة لضرب مخطط توحيد كل الشيوعيين ··

وبالمقابل كانت القيادة ومعها أغلبية المؤتمر ترى أن طرح المقومات وعقد المؤتمر هو محاولة لتوحيد الكادر وتحصينه وقد عاش طوال حياته معزولا عن التنظيمات الأخرى بل وتغذيه ريبة شديدة فى الآخرين ·· ، وكان هدفنا أن يدخل الكادر الى الوحدة مع حدتو محصنا بمفاهيم ثابتة ،(١٥)

أى أن المؤتمر لم يكن بديلا عن الوحدة الشاملة · بل تمهيدا لها ··

والآن وبعد هذا الاستعراض الذى حاول أن يلم ببعض أطراف الوضع ·· تبقى محاولة الاجابة على سؤال كرره الجميع ·· اتفقوا عليه رغم اختلافهم حول قضايا عديدة ·· كانت هناك عجلة وتسرعا فى عملية التوحيد ··

فلماذا ؟

الأسباب عديدة ···

الخلافات السياسية اختفت ، فبعد رحلة خلاف طويلة تقاذفوا فيها الاتهامات لتصل الى أدنى مستوى سياسى ممكن ، عادت كافة الطرق لتلتقى من جديد عند نقطة التأييد الشامل ـ وربما البالغ فيه ـ لحكومة جمال عبد الناصر ، فتحقق لحدتو أكبر انتصار سياسى ممكن ·

ولعل هذا الانتصار بذاته هو الذى جفرها الى التعجيل الملح بعملية التوحيد ·

لقد حققت حدتو انتصارا سياسيا حاسما فى صفوف الموحد ·· وتوهمت انه بالامكان تكرار ذلك مرة أخرى ·

وقد سبق لحدتو ان قبلت دور المنهزم ·· دخلت الموحد مهزومة سياسيا وتنظيميا ، كانت الخطوط السياسية للحزب الموحد تدين خطها التاريخى فى تأييد حركة الجيش ، ولا تكتفى بمجرد تجاوزه أو حتى انتقاده ، وكانت الأغلبية فى اللجنة المركزية ضد حدتو تاريخا وموقفا ومع ذلك سرعان ما انقلبت الموازين ··

·· ، وقد تصور البعض من ممثلى التنظيمات الصغيرة فى اللجنة المركزية للحزب الموحد أن هذا الوضع سوف يستمر ··· ولكن ما تصوروه

---

(١٥) محضر مناقشة مع حلمى بس ـ اجريت المناقشة فى القاهرة فى ١٩٨٣/١/١٦

كان وهما ·· فحدتو المهزومة سياسيا فى بدايات تشكيل الوحد تحولت الى منتصرة ، وكان رفاق حدتو فى اللجنة المركزية للموحد هم الذين قادوا فى الأساس حملة تغيير الموقف السياسى للحزب ، وقد اكتسبت هذه الحملة بعض الرفاق من ممثلى المنظمات الصغيرة فى اللجنة المركزية ، وان كان البعض منهم قد ظل على اصراره فى التمسك بالموقف القديم ، أذكر من هؤلاء الآخرين على وجه التحديد عدلى جرجس وعبد الله كامل ·

··· ولم يكن من الممكن تصور اختفاء الصلة بين التاييد الجديد المطلوب والتاييد السابق الذى منحته حدتو لثورة يوليو عند قيامها · ولم يحدث تغير فى الموقف السياسى للموحد فحسب ، بل وحصل تعديل بالضرورة فى الوضع التنظيمى وبالذات داخل اللجنة المركزية للموحد عاد كمال عبد الحليم الى اللجنة المركزية وكان مستبعدا منها عمليا ، ومن ناحية اخرى تعاون عدد من رفاق المنظمات الصغيرة مع رفاق حدتو فى القيادة المركزية بود ورفاقية عالية مثل محمود العالم ـ بهيج نصار ـ حسين عنيم ـ فخرى لبيب ـ احمد خضر ·· وبهذا التغيير فى الوضع القيادى المركزى اصبحت غالبية اللجنة المركزية موحدة ، وتيارا حزبيا متناميا يصون الوحدة ويعززها ··· هذا التحول من حالة الهزيمة السياسية لحدتو فى اطار الموحد الى انتصار لها ، وانتقال ممثلى حدتو فى قيادة الموحد من وضع الاقلية الى وضع الاغلبية خلال اشهر قليلة غرس فى نفوس رفاق حدتو غرورا ، وثقة زائدة عن الحد ، وتصورا خياليا لا يستند على أى أساس مادى · وتصوروا أن ما جرى فى الموحد بعد تكوينه سيجرى تكراره بالتمام والكمال عندما تتم الوحدة بين الموحد والتنظيمين الاخرين » (١٦) ·

ولعل فخرى لبيب يؤكد ذات الفكرة عندما يقول « أن حدتو من الناحية السياسية لم تكن تدقق فى الوثائق السياسية وانما كانت تسرع بالموافقة على أساس ان النضال العملى سيحسم الامر فى النهاية »(١٧) ·

هذا عن حدتو ·· والموحد ، فماذا عن الآخرين ؟ لماذا تخلوا فجاة عن خط رفض الوحده مع حدتو ؟

يقول داود عزيز (الرايه) كما رأينا من قبل ، ان المنظمات جميعا ، تقاربت سياسيا ، ويقول انها خرجت من فترة الاعتقال ضعيفة « وقد دفعهم ضعفهم الى قبول وحدة غير مبدئية » ·

---

(١٦) فضل ـ المرجع السابق ـ ص ١٤

(١٧) لبيب ـ المرجع السابق ·

لكن مبارك عبده فضل وبعد ان يؤكد ان الموحد كان واسع الانتشار والنفوذ يقول ان الراية قد اقبلت على الوحدة بسبب ضغوط الكادر وبسبب ضعفها ويقول « وكانت الراية مهددة قبل الوحدة بالتصفية ولذلك حاولت تقوية نفسها بضم مجموعة من بقايا م · ش · م · وكان التواجد التنظيمى للراية فى ذلك الحين محدودا من ناحية الكم ومن ناحية الانتشار ، ولم يكن لديهـا عند الوحدة محترف ثورى واحد ، كما لم تقدم عند وحدتها مع الموحد اى جهاز فنى »(١٨) ·

·· كذلك يفسر البعض سرعة الاقبال على الوحدة بأن المنظمتين اللتين نسجتا حملة العداء الطويل لحكم عبد الناصر · لم ترغبا فى ادانة تاريخهما السابق فأرادتا أن تطوى صفحة وتبدأ أخرى ··

يقول سعد رحمى « لعل هؤلاء القادة قد سعدوا بالوحدة لانها لم تتم على اساس هزيمتهم ايديولوجيا ، بل العكس فتحت لهم الباب كى يلعبوا من جديد دور القادة »(١٩) ·

ويشير الكثيرون الى الحاح خارجى من اكثر من حزب شقيق ·· العراقى ـ اللبنانى ·· الخ لكن اهم الاحزاب التى انغمست فى عملية استعجال للوحدة ·· كان الحزب الشيوعى الايطالى ·

ولابد لنا ان نذكر ان الحزب الايطالى كان يمتلك مصابرة وعلاقاته القوية بالحركة الشيوعية المصرية ·· فمنذ عام ١٩٣٥ زار الرفيق « سبانو » مصر والتقى بالشيوعيين القدامى واعد تقريرا عن اوضاعهم لم يزل محفوظا فى أرشيف اللجنة المركزية للحزب(٢٠) · كما أن عديدا من الرفاق القدامى من مرحلة بداية الاربعينيات والذين كانوا من اصل اجنبى قد هاجروا الى ايطاليا ولعبوا دورا ما فى الحزب الايطـالى مثل مارسيل نتشـيريزى ، دينافورتى ، ريناتوميللى ·· وغيرهم ·

ويؤكد فخرى لبيب دور الحزب الايطالى فى الحث على أهمية الوحدة « فيما اعتقد ان بعض الاحزاب الشقيقة قد لعبت دورا فى الضغط من أجـل الوحدة ، وان البعض (الراية ، ع · ف) قد قبلوا بالوحدة تحت ظروف احراج شديد ، اى انه يمكن القول بانه كان هناك تسليم بالوحدة دون

---

(١٨) فضـل ـ المرجع السابق ـ ص ٣٢

(١٩) رحمى ـ المرجع السـابق .

(٢٠) راجع نص التقرير فى : د. رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ دار الطليعة ـ بيروت (١٩٧٢) ص ١٣٨

اقتناع حقيقى بها ٠٠ واعتقد ان الحزب الايطالى قد لعب دورا فى ذلك عن طريق رفيقين هما باييتا وسبانو »(٢١) ٠

ويعيد التاكيد على هذا الموضوع احد الباحثين قائلا « لقد أخذ بعض خبراء الحزب الايطالى المبادرة فى الحث على اتمام الوحدة فى عام ١٩٥٧ »(٢٢) ٠

٠٠ والحقيقة ان الحزب الشيوعى الايطالى لم يخف اهتمامه بهذا الامر ، بل لعله قد ابدى حماسا رسميا ومعلنا اذ نشرت جريدته الرسمية « الاونيتا » مقالا بعنوان « رحلة البيرتو ياكو فيللو الى الشرق الاوسط ـ نحو تأسيس حزب شيوعى مصرى واحد فى مصر مقابله مع الرفاق فى لجنة التنسيق بين المنظمات الشيوعية المختلفة ـ انتهاء مرحلة غامضة من الانقسامات والصراعات الحادة ـ برنامج الحزب » ٠

ويبدأ المقال معترفا « فى اثناء اقامتى بالقاهرة علمت انه قد تأسست من مختلف المنظمات الشيوعية لجنة تنسيق هدفها الرئيسى وضع اسس حزب واحد للشيوعيين المصريين ، ويعتبر هذا حدث ذو مغزى عميق ، وبطبيعة الحال فانه اذا ما نجحت هذه الجهود ، وهناك احتمال كبير فى نجاحها ، فانه سوف تنتهى بالنسبة للشيوعيين المصريين مرحلة اليمة وغامضة من الانقسامات والصراعات بين الرفاق ، والتى مثلت عائقا رئيسيا أمام تطور الحركة الشيوعية برغم النضال البطولى والعنيد لمئات المناضلين الذين دفعوا سنوات شبابهم فى السجن فى سبيل مبادئهم ٠٠ لهذا رأيت أنه من المفيد ان اوجه بعض الاسئلة للرفاق اعضاء لجنة التنسيق ، والاجابات التى تلقيتها كانت نتاج الاعداد المشترك ، ويمكن اعتبارها بمثابة تقييم مشترك لهم للوضع الراهن فى مصر ٠٠٠ » ٠

وتأتى الاجابة المشتركة حول أهمية الوحدة قائلة « لقد اصبح بديهيا أن انقسام الماركسيين فى تنظيمات مختلفة ومتصارعة فيما بينها قد أضعف الحركة العمالية المصرية ، ذلك ان الشعارات المتناقضة التى كانت تطرحها مختلف المجموعات التى تنتسب للماركسية قد أدت الى خلق الالتباس والارتباك لدى الجماهير وقللت من قدر الثقة التى منحتها هذه الجماهير للشيوعيين »(٢٣) ٠

---

(٢١) لبب ـ المرجع السابق .

(22) Walter Laqueur - The Stuggle for Middle East. Pelican Book (1972) p. 201.

(٢٣) الاونيتا ـ ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٧ . (بناء على طلب من المؤلف تفضل الرفيق مارسيل شيريزى بالبحث عن اصل هذا المقال وقام بترجمته الى اللغة العربية نقلا عن الايطالية) .

.. على أية حال ، كانت كل الرياح تدفع أشرعة الوحدة وكان ذلك باعترافنا واعتراف الجميع ضروريا وملحا ، وأسرعت سفينة الوحدة ، وربما اكثر من اللازم وتكونت لجنة تنسيق من المنظمات الثلاث .. الموحد ، الراية ، ع. ف .

ولدينا عدة وثائق حول نشاط لجنة التنسيق هذه ..

ولكن يتعين علينا أولا ان نتحدث عن تكوينها .

« كانت اللجنة تضم محمود العالم (موحد) ، حلمى بيس (ع . ف) ، سعد زهران (الراية) وأحيانا كانت تعقد اجتماعات فى شكل موسع فيضم اليها من الموحد مبارك او انا (أحمد الرفاعى) ، ومن ع . ف ابو سيف يوسف ، ومن الراية الهام سيف النصر » .

اما عن تلخيص المواقف العامة داخل اللجنة ..

فيقول احمد الرفاعى « كان مندوب الراية يعطى نفسه دور الوسيط بين الموحد ، ع . ف وفى الواقع فان اعضاء ع . ف لم تكن لديهم رغبة حقيقية فى الوحدة بقدر ما كانت عندهم الرغبة فى تحقيق تحالف مع الراية وبقايا المنظمات الصغيرة فى الموحد ضد تيار حدتو . وكانت ع . ف تعرقل الوحدة بشتى الطرق واختلقت خلافات حول اسم الحزب ، واثارت مشكلات وقضايا قديمة مثل خط القوات الوطنية الديمقراطية (١٩٤٨) والمطالبة بحل مجموعة روما وادانة كوريل ورفضنا ذلك كله »(٢٤) .

.. ولكن الطرف الآخر أى (ع . ف) بامكانه ان يرد على ذلك بان استعجال الوحدة وعدم حل المشكلات المعلقة هو الذى أدى الى فشلها فيما بعد ، وان محاولة تصفية الخلافات قبل الوحدة لم يكن تعويقا لانجازها وانما تأكيدا على صحة اتمامها ..

ويقول مبارك « لم يجر أى تنسيق حقيقى فى العمل الجماهيرى وخاصة ان الراية كانت لا تمتلك علاقات جماهيرية وبالتالى لم يكن مندوبيها فى لجنة المفاوضات متحمسين لقضية التنسيق فى العمل الجماهيرى »(٢٥) .

.. ونسجل ـ ابتداء ـ عدم دقة هذا الحكم فتحت ايدينا بعض البيانات المشتركة والتى عبرت عن تنسيق ما فى مجالات ما ..

فثمة منشور معنون « بيان الى الشعب » يدعو المواطنين الى الحذر من

---

(٢٤) الرفاعى ـ المرجع السابق .

(٢٥) فضل ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠ .

مؤامرات الاستعمار على استقلال مصر وحريتها ، ويدعو الى المسارعة بتكوين الاتحاد القومى كتنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الاستعمار »(٢٦) ٠

ولسوف نرجىء فحص المضمون السياسى والفكرى لهذا البيان لحين الحديث عن الخط السياسى الذى اتحدت حوله المنظمات الثلاث ، لكننا فقط نشير الى هذا البيان كاحد اشكال التنسيق ولعل القيمة التاريخية لهذا البيان لا تكمن فقط فى المحتوى السياسى الهام الذى توافقت عليه ، أو تسارعت اليه الاطراف المختلفة ، وانما فى كونه اعلان رسمى الى الجماهير بالاتجاه نحو الوحدة وبتشكيل لجنة للتنسيق ٠٠

وثمة منشور آخر يحمل احد عشر توقيعا يمكن من استقرائها ملاحظة انها تضم اساسا ممثلين للموحد والراية من طلاب جامعة القاهرة ٠٠ وهذا المنشور يتناول واقعة التظاهر فى الجامعة بعد الاطاحة بحكومة النابلسى « بالتنسيق بين المنظمات الثلاث » وقد أدى الامر الى احالة العديد من الطلاب الشيوعيين الى مجلس تأديب ٠٠ (٢٧) ٠

ثم بيان ثالث بعنوان « ماذا فى سجن الواحات ـ مكتب الارشاد فى الواحات يقود حملة ارهابية لقتل الاخوان المؤيدين للحكومة » ويحمل المنشور خمسة عشر توقيعا من ممثلى المنظمات الثلاث منهم زكى مراد ـ أحمد طه ـ فؤاد حبشى (الموحد) ٠٠ مصطفى طيبة ـ طوسون كيرلس ـ داود عزيز (الراية) ، لمعى المطيعى ـ عبد الحفيظ بيومى (ع ٠ ف) ٠٠

٠٠ كان هناك تنسيق محدود اذن ، ربما يمكن حصره أو حصاره فى اطار تنسيق علوى لاصدار بيان ، أو فى السجن لاتخاذ موقف يدافع عن الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة ٠٠ ويمكن قراءاته بشكل جاد فقط فى اطار طلبة جامعة القاهرة ٠٠

كذلك فاننا سوف نلاحظ حديثا لممثل الراية فى لجنة التنسيق حول اهمية التنسيق فى العمل الجماهيرى وحول افتقاد هذا التنسيق ٠

وهذا ما كان يشكو منه ايضا كادر الموحد الذى كان يطمح الى تنسيق حقيقى فى صفوف العمال والفلاحين وفى النظمات والانشطة الجماهيرية ،

---

(٢٦) منشور بحجم الفولسكاب ـ مطبوع بالمطبعة ـ معنون بيان الى الشعب ، مؤرخ فبراير ١٩٥٧ موقع باسم المنظمات الثلاث ثم وبين قوسين لجنة التنسيق (نسخة اصلية) .

(٢٧) منشور فى حجم الفولسكاب . مطبوع بالمطبعة ـ معنون « من طلبة الجامعات .. الى شعبنا المصرى المناضل » ويحمل أحد عشر توقيعا (نسخة اصلية) .

، هو ما كان مفتقدا ربما بسبب افتقاد ممكناته لدى هذا الطرف أو ذاك ..

.. وتحت أيدينا بعد ذلك الوثيقة الاكثر أهمية فى هذا الصدد وهى محاضر « لجنة التنسيق الثلاثية » .

وتبدأ الوثيقة بحديث موجه من قيادة الحزب الموحد الى أعضائه .. يروى قصة اللجنة ..

« أيها الرفاق : لقد تكونت لجنة تنسيق ثنائية فى بادىء الامر بيننا وبين رفاق ط.ع فى شهر أغسطس ١٩٥٦ تقريبا . و حرزت تلك اللجنة بعض النجاحات وان كانت مناقشاتها ونتائجها لم تدون فى محاضر وتنشر على كل الرفاق . وفى فترة الغزو تكونت لجنة تنسيق ثلاثية من حزبنا و ط.ع والحزب الشيوعى المصرى وقد حرصت هذه اللجنة منذ البداية أن تدون نتائج مناقشاتها . وما زالت مستمرة حتى الان فى اجتماعاتها . وقد عقدت حتى الان حوالى عشر اجتماعات . وقد كان حزبنا يهدف منذ بداية هذه اللجنة الثلاثية الى انزال معاضر الجلسات بعد حذف الاشياء الضارة بالامان ـ لكل الرفاق فى الهيئات الثلاث . ولكن رغبة حزبنا كانت تقف أمامها بعض العقبات فقد أثار مندوب ح.ش.م عدة مشاكل حول مبدأ انزال المحاضر وحول شكل كتابتها وحول وقت نشرها .. ولما كان مندوب ح.ش.م قد وافق أخيرا على توقيت نزول هذه المحاضر ، فاننا ننشر هذه المحاضر على كل الرفاق واضعين فى اعتبارنا أنها تشمل فقط نتائج الاجتماعات الستة الاولى لانها المحاضر التى أعيدت صياغتها . أما المحاضر الاخرى من السابع حتى العاشر فنحن بصدد صياغتها مع مندوبى ح.ش.م ، ط.ع ، وستنزل بمجرد اقرارها ..

ونحن اذ نعتبر ان تكوين اللجنة الثلاثية نصرا هاما لخطة حزبنا فى تحقيق الوحدة الشاملة . وفى توحيد العمل المشترك للهيئات الشيوعية الاخرى ، لنهيب بكل الرفاق فى حزبنا والهيئات الشيوعية الأخرى ان يدرسوا نتائج هذه الاجتماعات ويستفيدوا منها .

(التوقيع)

السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد (٢٨)

.. وبعد هذه المقدمة ، المحاضر :

---

(٢٨) محاضر اجتماعات لجنة التنسيق الثلاثية ـ مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى الموحد يناير ١٩٥٧ ـ وثيقة من ست صفحات فولسكاب بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو (نسخة اصلية) .

« الاجتماع الأول ـ لمندوبى طليعة العمال ـ الحزب الشيوعى المصرى ـ الحزب الشيوعى المصرى الموحد ·

جدول الأعمال : ١ ـ مهام اللجنة وحدودها · ٢ ـ واجباتنا المباشرة »

ونقرأ فى المحضر : « مندوب ح·ش·م : ان مهمة لجنتنا هى تنسيق العمل الجماهيرى العلنى · ولهذا أقترح فى ظروف الغزو ومهام الدفاع عن الوطن أن تكون الى جانب لجنتنا السرية لجنة علنية تسمى اللجنة التقدمية للتعبئة الوطنية للقيام بدور الدعاية الوطنية العلنية فى المعركة الوطنية ، ونحن نؤمن أن هذا التنسيق الجماهيرى خطوة نحو الوحدة الشاملة التى يسعى اليها حزبنا ، ونرى أن هذه الوحدة تتحقق فى ثلاث مراحل :

١ ـ التنسيق فى المجالات الجماهيرية ·

٢ ـ التقارب الايديولوجى « الفكرى » ·

٣ ـ الوحدة التنظيمية ·

مندوب ط·ع : مهمة لجنتنا هى اتخاذ اجراءات ايجابية مشتركة بين المنظمات كخطوة نحو الوحدة الشاملة ··

مندوب الموحد : هدف لجنتنا هو تنسيق جهودنا النضالية فى عمل موحد كخطوة أولى نحو الوحدة الشاملة ، وان كنا لا نوافق على نظرية المراحل · ولكننا نؤمن أن العمل المشترك كفيل بأن يكشف لنا أفضل الأشكال لانجاز الوحدة · أما اللجنة العلنية فنحن نرى أن تنزل الى الجماهير ببيانات علنية بأسماء بعض الرفاق من الهيئات الثلاث على ألا تحمل هذه البيانات اسم لجنة ·· »

ونترك الآن التوجهات السياسية لنعود اليها فيما بعد ·· ثم ننتقل الى المحضر الثانى ··

« مندوب ط·ع · : بالاشارة الى مناقشات الاجتماع السابق حول اللجنة العلنية ترى هيئتنا أن تقتصرلجنتنا على السرية ، أما اقتراح اللجنة العلنية فنرى أنه متقدم بالنسبة للظروف الحالية ·· وهو يتعارض مع خطتنا وهى للعمل دائما من داخل منابر الحكومة مهما كانت الظروف والصعوبات ·

مندوب ح·ش·م : كان اقتراحنا بتكوين لجنة علنية ناجما عن اقتراح الموحد باصدار بيان مشترك علنى يحتوى على أسماء · ورأينا فى هذا الاقتراح اتجاها الى العلنية يتفق مع خطة حزبنا ··

مندوب الموحد : نرى امكانية تكوين لجنة علنية مع امكان بقاء لجنتنا السرية لمباشرة التنسيق النضالى فى مختلف المجالات · ولكننا

لا نستطيع أن نفتعل لجنة عليا من لا شيء فيبغى ان تتطور وتنبثق من ظروف النضال ، ولهذا فاللجنة العلنية ليست ضرورة ملحة الآن » ·

ونتوقف قليلا لنلتقط خيطين هامين ··

الأول أن ط·ع· قد انتهجت خطة « العمل دائما من داخل منابر الحكومة » (هل هى نفس فكرة العمل من داخل الوفد ؟)

الثانى أن الراية تؤيد « الاتجاه الى العلنية » · (هل هو افراط فى الثقة فى الحكم ؟) ·

ويلتقى مع هذا التوجه ويؤيده عبارة وردت فى حديث الدكتور فؤاد مرسى تقول « فى أواخر عام ١٩٥٧ بدأ الشيوعيون فى الاتحاد وتكوين حزب واحد ، والعمل بشكل شبه علنى ووجدنا من المناسب وتدعيما للثقة فى النظام الوطنى الكشف عن شخصيتى (شخصية الرفيق خالد السكرتير العام) » (٢٩)

·· والآن ·· واذ كانت لجنة التنسيق الثلاثية منهمكة فى عملها . فانها كانت فى ذات الوقت محطا لتحديد توجهات المنظمات الثلاث وأساليب عملها ، ومواقفها السياسية ·· فلنتأمل هذه التوجهات فهى تحدد لنا ميكانيكية اقتراب المنظمات الثلاث حول موقف موحد أو شبه موحد من عبد الناصر ·· كما أنها توضح كيفية حدوث هذا التقارب والاسهامات المختلفة سلبا وايجابا يمينا ويسارا فى صياغته . حتى تبلور فى موقف توهج فى بادىء الامر وكانه اتفاق ، ثم ما لبث أن انفجر لدى أول انحناء لقوس الاحداث ··

لنتأمل معا وفى تحقيق وتامل · ذلك اننا فى هذا الكتاب لا نملك ترف التوقف أمام كل عبارة وتحليل مغزاها بل سنترك ذلك للقارىء نفسه ··

·· ولنعد مرة ثانية لمحاضر اجتماعات لجنة التنسيق الثلاثية . للتعرف على المواقف السياسية ·· فقط يتعين علينا أن نتذكر قبل أن نقرأ ·· اننا الآن فى فترة مواجهة العدوان الثلاثى وما بعدها ··

ولنقرأ بامعان :

« **الحزب الشيوعى المصرى (ح·ش·م ·)** : واجباتنا المباشرة تتلخص خطتنا نحوها على انجاز المهام التالية ··

---

(٢٩) الاهالى — ١١ — ٩ — ١٩٨٥ — المرجع السابق .

١ ـ الاشتراك فى جيش التحرير الوطنى ٠

٢ ـ الغـاء المعاهدات المصرية البريطانية ٠

٣ ـ الدعوة لتكوين مجلس (استشارى وطنى) ٠

٤ ـ تأميم الشركات الأجنبية التى تخص دول العدوان ٠

٥ ـ الافراج عن المسجونين السياسيين ٠

والمجلس الاستشارى ينحصر مهمته فى المساهمة مع الحكومه لتعبئـة القـوى الوطنية والمجهود الحربى اللازم فى الحرب التحريريه ، وهذا المجلس تختـاره الحكومة من ممثلى جميع الطبقات والفئات الوطنيـة وهذا المجلس سيكون تعبيرا عن التضامن بين الحكومة والشعب وجميع العناصر والفئات الوطنية ، وسيفوت على المستعمرين والرجعيين فرصة النيل والهجـوم على الحكومة الوطنية بدعوى أنها معزولة عن الشعب » ٠

« **طليعة العمـال (ط٠ع)** : تتلخص خطتنا فى الظروف الراهنـه فى النقط التـالية :

١ ـ مواصلة النضال حتى النصر ٠

٢ ـ دفع الرفاق والشعب الى التطوع فى جيش التحرير الشعبى ٠

٣ ـ اعداد كتائب العمـال ٠

٤ ـ مواصلة العمل فى المصانع لبـلا لمضاعفة الانتاج ٠

٥ ـ حماية الحكومة المصرية من المؤامرات وتدعيم الجبهه الداخلية ٠

٦ ـ البحث عن شكل رسمى للتعاون بيننا وبين الحكومة لنتحمـل أعبـاء الظروف الحاضرة معهـا » ٠

« **الحزب الشيوعى المصرى الموحـد** :

تتفق خطتنا بوجه عام مع خطة ط٠ع ونضيف اليها مسألة تنظيـم المقاومة السرية فى المنـاطق المحتلة والمهددة بالاحتلال وضمان استمرار تلك المقـاومة فى حالة الاحتلال ، ودفع كل المطـالب الاقتصادية والداخليه الى الخلف فى ظروف الغـزو ٠٠

ملحوظة : ترى ط٠ع والموحـد أن مشكلة الافراج عن المسجونين الشيوعيين لا يجب أن تثـار بشكل جماهيرى فى ظروف الغزو الاستعمارى وأن تثـار فقط عن طريق الاتصالات مع الحكومه بينما يرى ح٠ش٠م اثارة هذه المشكله بطريقة جماهيرية أيضا فى فترة الغزو الاستعمارى وكذلك ترى ط٠ع والموحد

بأنهما ليسا متفقان الان مع ح·ش·م فى خلق مجلس استشارى وطنى وتريان أن هذه المسألة ايضا يجب الا تثار بشكل جماهيرى ·· لان اثارة هذه المسألة سوف تصرف نظر الجماهير ولو جزئيا عن مقاومه الغزو وستضعف الجبهة الداخلية » ·

« **محضر الجلسة الاولى** »

ونواصل قراءة محاضر الجلسات الأخرى ··

* **الموحد** يقترح عدم اصدار نشرات منفردة فى هذه الظروف الدقيقة ويقترح الاكتفاء باصدار منشورات موقع عليها من الهيئات الثلاث ·

وقدم مندوب الموحد نص مشروع رسالة موجهة الى عبد الناصر واقترح أن توجه باسم الهيئات الثلاث ·

* **الراية** ترفض من حيث المبدأ اصدار بيانات مشتركة باسم الهيئات الثلاث لان هذا العمل سوف يبلبل الجماهير علاوة على أنه يعبر عن وحدة شكلية ·

* طلب مندوبا **ط·ع والراية** تأجيل بحث موضوع الرسالة الموجهة الى الرئيس حتى يستشيروا هيئاتهم ·

« **محضر الجلسة الثانية** »

* انتقاد من الموحد . ط·ع لأن رفاق الراية يكونون لجانا منفردة أسمها لجان الدفاع الوطنى لان هذا يفتت الوحدة التنظيمية ، وطالبا بتركيز كل الجهد فى لجان الدفاع الوطنى الشعبية ·

« **محضر الجلسة الرابعة** »

* أشار مندوب ط·ع الى مخاطر التوجه اليسارى فى نشاط بعض الرفاق فى اللجان المقاومة الشعبية واقترح اصدار مجلة عامة للجان المقاومة الشعبية ··
* اعترض مندوبا الموحد والراية على اصدار مجلة عامة لان هذا قد يساء تفسيره من جانب الحكومة ·

« **محضر الجلسة الخامسة** »

* انتقاد وجهته ط·ع الى بعض رفاق الموحد بسبب تصرفات يسارية والى أن النشاط النسائى يتخذ طابعا يساريا ··
* وانتقاد من الراية للموحد لانه لم ينفذ ما اتفق عليه من التنسيق فى المجال النسائى ·

« **محضر الجلسة السادسة** »

وبعد هذه المحاضر الست ·· نجد نص الرسالة التالية :

الى المكتب السياسى لمنظمة الحزب الشيوعى الموحد :

أيها الرفاق الاعزاء ، تحية رفاقية وبعد ·

فى يوم الخميس ١٩٥٦/١٢/١٩ استلمنا ردكم على الخطاب الموجه الى منظمتكم من المكتب السياسى لمنظمة طليعة العمال ، واذا كان لنا أن نبدى ملاحظة على ردكم ، قلنا أنه لم يكتب بطريقة واضحة ، ولم يكن فى اجابتكم الحسم البلشفى والمواقف المحددة التى تساعد على تقدم العمل التوحيدى الذى بدأناه معكم ·· ان منظمة طليعة العمال وقد أخذت على عاتقها مهمة تصفية الوضع الانقسامى فى الحركة الماركسية المصرية سوف تو صل خطتها فى زيادة التعاون العملى المشترك فى جميع المجالات الهامة ، كما انها ستضع باستمرار نصب عينيها مهمة تحسين مستوى العمل فى لجنة الاتصال القائمة بين المنظمات ·

المكتب السياسى لطليعة العمال ،
١٩٥٦/١٢/٢١

·· هكذا كانت تسير الأمور ·

لكن هذه الخلافات والاختلافات كانت مجرد همسات محدودة الاثر والتأثير فى مواجهة سيل الوحدة العارم · الكادر ، والقادة ، والأعضاء ، والزمن ، والمعركة ، والالتقاء السياسى كونوا جميعا موجا عاتيا اكتسح كل المعوقات حتى ولو كانت موضوعية ، كل محاولات التأنى حتى ولو كانت ضرورية ، كل امكانيات النقاش لتصفية الخلافات حتى ولو كانت خلافات جادة ··

ولقد يحاول البعض الآن ·· وبعد ثلاثين عاما أن يتحلى بالحكمة لافتا النظر الى هذا النقص أو ذاك ، الى الاسراع غير الحكيم ، والاندفاع الخالى من الفردى نحو الوحدة ·· لكن أحدا فى ذلك الحين لم يكن ليخطر بباله أيا من هذه الانتقادات فان خطر بباله فلم يكن ليجرؤ أن يفعل ·

لقد كان الموج أعلى من أى خلاف ، بل أعلى من هذه الخلافات والعداوات التاريخية التى تراكمت بحيث تصور البعض أنها أقوى من اى موج توحيدى ···

وحتى فى اطار لجنة التنسيق هذه اكتشف الجميع انهم يعزفون نفس النغمة ، · بل يتسابقون نحو عزفها ناسين أو متناسين كل الماضى ·· أو أغلبه ·

ونعود الى وثيقة اخرى تحدد لنا هوية الاتفاق السياسى ومداه حتى فى فترة ما قبل الوحدة ٠

نذكر اشارتنا الى مقال البرتو ياكو فيللو فى مجلة الاورنيتا (مجلة الحزب الشيوعى الايطالى) ونذكر أنه جاءت فى المقال العبارة التالية ٠٠

« لهذا رأيت أنه من المفيد توجيه بعض الاسئلة للرفاق أعضاء لجنة التنسيق ، والاجابات التى تلقيتها كانت نتاج الاعداد المشترك ، ويمكن اعتبارها بمثابة تقييم مشترك لهم للوضع الراهن فى مصر ٠٠ » ٠

حسنا ٠٠ نحن اذن أمام وثيقة مهمة ٠٠ بل لعلها أهم وثيقة تحدد (وقبل الوحدة) الرؤية المشتركة للمنظمات الثلاث ٠٠ وكيف ؟ وعلى ماذا تلاقت توجهاتها السياسية ازاء الوضع فى ذلك الحين ٠٠

لنقرأ ٠٠ وبامعان ٠٠

« ان المرحلة الراهنة تتميز بعنصرين : فمن جهة نجد أن البرجوازية الوطنية ملتزمة بشكل جدى بالنضال ضد الامبريالية ، ومن جهة أخرى نجد أن الامبريالية تحاول بكل الوسائل ضرب هذا النضال وقلب حكومة عبد الناصر ٠٠ مثل هذه الحكومة لا يمكنها أن تبقى على قيد الحياة بدون توافر شرط الاعتماد على مساعدة ودعم الدول الاشتراكية ، والاعتماد على دعم جبهة وطنية عريضة ، ومن الواضح أن البروليتاريا يجب أن تسهم فى هذه الجبهة بتجربتها ونضاليتها ونظريتها الثورية ٠

٠٠ ان الوحدة الآن قد أصبحت ممكنة التحقيق لان الخلافات بين المنظمات قد تضاءلت كثيرا وهذه الخلافات كانت تدور أساسا حول تحديد دور البرجوازية فى الحركة الوطنية ٠٠ حسنا نحن اليوم وفى هذا الصدد نتفق جميعا على نقطة جوهرية هى اننا نجد سواء فى الوضع العالمى أو الداخلى الراهن أن البرجوازية الوطنية تقف على رأس النضال من أجل الاستقلال الوطنى » ٠

٠٠ وتمضى الاجابات المشتركة :

« الخطوط العريضة لبرنامجنا يمكنها أن تكون كما يلى :

حماية وتعزيز الاستقلال الوطنى ، الدفاع النشط عن السلام ، تعزيز وحدة الدول العربية المتحررة من السيطرة الامبريالية ، تصفية بقايا الاقطاع ، نزع سلطة الاحتكارات ، احترام الديمقراطية وتعزيز أسسها ، بناء اقتصاد وطنى عصرى ومتقدم ، ورفع مستوى معيشة الجماهير الشعبية ، اصلاحات اجتماعية وثقافية » ٠

.. واجابة ثالثة مشتركة :

« يتميز الوضع الراهن بالانتصارات الفائقة التى احرزتها الحركة الوطنية وللمرة الاولى فى تاريخ مصر الحديث نجد حكومة وطنية تدافع عن مصالح الوطن ، ويدعمها تحالف عريض يشمل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية وعلى رأس هذه الجبهة حكومة عبد الناصر التى استطاعت أن تقود نضالا منتصرا ضد الامبريالية .. » (٣٠)

.. ونلجأ الى وثيقة اخرى بحثا عن أسس الاتفاق السياسى بين المنظمات الثلاث .

البيان المشترك الصادر عن المنظمات الثلاث والمؤرخ فبراير ١٩٥٧ .

.. « ان حكومة مصر لا يقتصر دورها التاريخى على الوقوف مع شعبنا فى جبهة وطنية لتصفية الاستعمار فى بلادنا ، بل انها تساهم مساهمة فعالة فى المعركة ضد الاستعمار فى جميع البلدان العربية ، ان مصر تضرب المثل لجميع البلاد العربية التى تكافح من أجل استكمال تحررها واستقلالها .. ويتآمر المستعمرون ويلجأون الى احط الاساليب وادنئها فهم يوالون ترويج الشائعات التى لا تنقطع محاولين التقليل من شأن الانتصارات الرائعة التى حققتها مصر والتى تحققها كل يوم ، محاولين التشكيك فى مواقف الحكومة الوطنية التى لا تقبل الطعن والتى لا ينكرها الا مغرض عميل للمستعمرين » .

وعن الازمة الاقتصادية والبطالة يقول البيان ان سببها الحرب الاقتصادية التى يشنها المستعمرون « كما ان الحكومة جاهده فى القضاء على أسباب هذه المتاعب الاقتصادية » .

.. « وكذلك يحاول المستعمرون وعملاؤهم ان يذرفوا دموع التماسيح على ما يدعونه من اهدار الحريات فى مصر متجاهلين ان الشعب المصرى والوطنيين المصريين لم يتمتعوا فى يوم من الايام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم ، وان هذه الحرية المتاحة للوطنيين تتسع فرصها يوما بعد يوم ، وان الذى ضاقت حريته هم المستعمرون وعملاؤهم من المأجورين وغلاة الرجعيين » .

ويطالب البيان بعد ذلك بالافراج عن المسجونين الشيوعيين « الذين هم أقدر المواطنين على تفهم سياسة الحكومة الوطنية والكفاح من أجل الدفاع عن هذه السياسة وحشد الجماهير حولها » .. و .. « ان مصر لتتطلع

---

(٣٠) الاونيتا (الايطالية) ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٧ المرجع السابق .

كذلك الى المسارعة بتكوين الاتحاد القومى كتنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الاستعمار »(٣١) ٠

٠٠ ماذا يبقى اذن ؟

بعد كل هذا الاتفاق السياسى كان لابد من وحدة تنظيمية ، خاصة وان الموج العالى للوحدة لا يمكن مقاومته ٠٠

واذا كانت منظمة طليعة العمال تتلكأ وتملى شروطا ٠٠ فان الموج كان اكثر سرعة من ان يتوقف عند اعتراضاتها المنصبة اساسا على ماض قديم والتى تصورها الكثيرون انها مجرد عقبات مفتعلة ٠

واسرع الطرفان الآخران ٠ الموحد والراية فكانت وحدة جديدة اثمرت الحزب الشيوعى المصرى المتحد ٠

* * *

كيف تمت هذه الوحدة ؟

يقول مبارك عبده فضل « تشكلت لجنة للوحدة الثنائية اعتقد ان محمود العالم وانا كنا نمثل الموحد وان سعد زهران وعادل سيف النصر مثلا الراية ٠ كانت اللجنة فى عجلة من امرها لاتمام الوحدة بسرعة شديدة تمشيا مع الاتجاه العام الذى كان سائدا آنذاك ، حول ان قضية الوحدة هى اهم قضية يجب التصدى لها ٠٠

وكانت قيادة الراية هى الاكثر عجلة لانها كانت تواجه مازقا صعبا فسياسيا ثبت خطأ خطها السياسى ، وتنظيميا ثبت خطأ نظرية لا شيوعية خارج الحزب ، وكانت الوحدة مهربا مريحا بالنسبة لها »(٣٢) ٠

٠٠ ولعل الموحد كان متعجلا هو الآخر ٠ فهو صاحب نظرية الوحدة منذ زمن طويل وقد اعتبر ان مجرد اقرار الآخرين بها انتصار باهر له ، كذلك كانت الوحدة تتم على اساس انتصار مبهر لخط حدتو فى تأييد حركة الجيش ، كذلك كان الغرور قد تملك كادر حدتو بعد أن اصبحوا الاكثر فعالية والاكثر تاثيرا فى الحزب الموحد وتصوروا ان كل الخلافات السياسية (ان وجدت) وان المشكلات التنظيمية سوف تحل فى مجرى الصراع ٠

يقول احمد الرفاعى « كان تراجع ع ٠ ف عن انجاز الوحدة فرصة للراية التى تقاضت ثمنا اكبر من حجمها الحقيقى ، اذ اقبلت على الوحدة

---

(٣١) منشور معنون « بيان الى الشعب » مؤرخ فبراير ١٩٥٧ ــ المرجع السابق .

(٣٢) فضل ــ المرجع السابق ــ ص ٢٨

واعتقد ان مثقفى حدتو وانا منهم قد أخطأوا فقد كنا ننظر الى الوحدة على أساس ساذج ، وقد استفادوا هم من هذه النظرة الساذجة » (٣٣) ٠

نحن الآن ازاء حالة عصبية ، اندفاع محموم ، لا يتوقف أمام اية عقبة حتى ولو كانت عاقله ٠٠ يقول سعد رحمى « لقد جاملنا الآخرين كثيرا ، كانت لدينا كتلة العضوية الاساسية ، لكننا كانت عندنا حالة عاطفية نحو الوحدة ، وكان عندنا ثقة شديدة فى انفسنا وكنا نأخذ الوحدة بمعناها النقى »(٣٤) ٠

٠٠ وتسرع العجلة « حالة التعجل فى اتمام الوحدة اثرت سلبا بشكل عام على الذتائج ، وامتد التعجل الى كل شىء حتى الوثائق السياسية والتنظيمية فلم يكن هناك اهتمام كاف بها ، لدرجة اننى شخصيا ـ لا اذكر الآن ـ على وجه التأكيد هل تم الاتفاق قبل وحدة المتحد على وثائق سياسية وتنظيمية أم لا ؟ ٠٠٠ وحتى اذا وجدت مثل هذه الوثائق فبالقطع لم يحدث حول اعدادها اى خلاف ، كانت قضايا ٥٦ ـ ١٩٥٧ ليست محل خلاف ، لعل الخلاف كان سيثار فيما لو تحدثنا عن الماضى وهو ما لم يحدث ٠٠ فى جو التعجل السائد »(٣٥) ٠

٠٠ وتركزت المناقشات حول كيفية تكوين القيادة ٠

ففى البداية اقترحت الراية التمثيل المتساوى ورفض رفاق الوحد وانتهى الامر بالاتفاق على تشكيل للجنة المركزية يعطى الوحد نسبة اكبر ٠٠

لكن الوحد قدم ضمن نسبته اربعة من رفاقه السجناء « زكى مراد ـ محمد شطا ـ فخرى لبيب ـ احمد خضر » بينما احتفظت الراية لمن بالخارج بكامل المقاعد بما اتاح لها اصواتا اكثر فى اللجنة المركزية ٠٠

ثمة مفارقة اخرى هى ان الراية قدمت اسماء ممثليها فى اللجنة المركزية ناقصين واحدا قالت انها تحتفظ به لأسباب امنية وبعد فترة اتضح انه الرفيق « سيد » (ع٠١ ٠) الذى كان فى نفس الوقت عضوا عاديا بالوحد ٠

واتفق أيضا على أن يكون المكتب السياسى بالتساوى وأن تشكل قمة قيادية تحل محل السكرتير العام تضم كلا من د٠ فؤاد مرسى وكمال عبد الحليم ٠

و ٠٠ التقى الموجان ٠٠

---

(٣٣) الرفاعى ـ المرجع السابق .

(٣٤) رحمى ـ المرجع السابق .

(٣٥) فضل ـ المرجع السابق ـ ص ٣٦

خصوم الماضى يجلسون الآن معا ·· رغم كل ما سبق ، ورغم كل ما قيل ··

وبرغم الحماس لم يكن الامر سهلا ··

وكان طبيعيا ان تمر بعض العقبات ·
لاحظ رفاق الموحد فى اللجنة المركزية الفارق الطبقى بينهم وبين اغلب الحاضرين من الطرف الآخر ·· ولاحظوا انهم كانوا جميعا تقريبا محترفين ثوريين ، بينما رفاق الرابطة لم يقدموا فى اللجنة المركزية محترفا واحدا ··

وشكلت لجنة لتنفيذ عملية الدمج بين المنظمتين ·· من مبارك عبده فضل وسعد زهران · ولكن ·· وقبل ان نتابع عملية الدمج وما أثارت من تعليقات تقرأ معا بيان اعلان تأسيس الحزب المتحد ··

« بيان الى الشعب ·· فى هذه الظروف التاريخية التى تمر بها بلادنا ، فى هذه الايام المجيدة التى اصبحت فيها مصر جمهورية مستقلة تنعم لأول مرة فى تاريخها الحديث بحكومة وطنية تقف الى جانب شعب مكافح ، وجيش باسل فى جبهة وطنية تدعم استقلالنا وتحميه ·· فى هذه الايام المجيدة التى تقف فيها بلادنا على أبواب حياة برلمانية من نوع جديد وتسير قدما فى سبيل توطيد دعائم الديمقراطية وتوسيع الحريات السياسية والنقابية ·· نرفع الى الشعب المصرى والطبقة العاملة المصرية بصفة خاصة بشرى انتصار تاريخى جديد ، انها بشرى للطبقة العاملة التى حققت وحدتها النقابية بتكوين الاتحاد العام المصرى للعمال ، التى تتطلع الى تحقيق وحدتها السياسية بتوحيد طليعتها الشيوعية ·· انها بشرى لجميع ابناء الطبقة العاملة فى الجبهة الوطنية المعادية للاستعمار والحرب ، بشرى للبرجوازية الوطنية التى اختارت طريق السير بصلابة فى طريق ثورتنا الوطنية والتى تعرف فى الشيوعيين اخلص المناصلين من أجل حماية حكومتنا الوطنية ورئيس جمهوريتنا البطل الوطنى جمال عبد الناصر ··

وسنواصل حزبنا المتحد بذل كل طاقته لاتمام الوحدة مع حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى (طليعة العمال) ·· وأملنا كبير فى ان تتحقق هذه الوحدة فى المستقبل القريب »(٣٦) ·

وهيقى للبحث ·· كيف تمت عملية الدمج ··
سنستمع الى اكثر من شهادة ··

---

(٣٦) منشور مطبوع بالمطبعة على الوجهين «يسار الى الشعب» موقع الحزب الشيوعى المصرى المتحد — ومؤرخ أول يونيو ١٩٥٧ (نسخة أصلية) .

« كانت المفاجأة ان مجمل الاعضاء الذين قدمتهم الراية لا تعطيها اكثر من عضو واحد فى اللجنة المركزية » هكذا اكد أحمد الرفاعى · ويقول ايضا « فى كثير من الاماكن كانت قوات الموحد لا تجد من تتحد معه ، وتعقد الامر لأن بعض القادةمنالراية كانوا يذهبون ليقودوا اعضاء الموحد »(٢٧) ·

ويقول سعد رحمى عن تجربة الدمج فى الاسكندرية « اشهد للتاريخ انه كانت هناك اكاذيب فى موضوع الارقام ، لقد كانت قوائمهم مجرد خرافه ·· وتكونت فى الاسكندريه (وانا كنت مسئولها) لجنة قيادية للمتحد من عشرة اعضاء خمسة من الموحد وخمسة من الراية علما بأن الموحد قدم ثمانين عضوا أما الراية فقد قدمت خمسة فقط بالاضافة الى الخمسة القياديين »(٢٨) ·

هذا عن الاسكندريه فماذا عن القاهرة ··

ولدينا من القاهرة شهادتين ··

الاولى حول تجربه الدمج فى قسم وسط القاهرة ·· يقول فوزى حبشى « عقب تكوين المتحد دخل معنا المتشنجين الذين كانوا يقولون بالفاشية ثم قلبوا ١٨٠ درجة ، كنت فى هذا الوقت عضو لجنة منطقة وسط القاهره وكان المسئول محمد عماره ثم جاء عبد العظيم انيس مع الراية واصبح مسئولا ·· كانت المعركة تدور داخل المنطقة بين طرفين ناس مثقفين وناس يتصورون ان النضال هو مجرد العمل فى الشارع ·· واعتقد انه فى هذا كانت قوائم العضوية المقدمة من الطرفين صحيحة الى حد ما ·· وكان هناك خلاف كبير فكما قلت كان رفاق حدتو ينظرون الى الاخرين كمثقفين آتين من ابراج عاجيه ، ورفاق الراية يتهمون الآخرين بانهم « بتوع جرى فى الشوارع » ·· وكانت هناك مجموعةفىالوسط تستهدف حل المشكلات ودفع عملية التوحيد انا وصبحى يسى (النواه) محمد فريد سيد احمد (حدتو) ثم تضاعفت المشكلات عندما بدأت انتخابات مجلس الامة »(٢٩) ·

اما الشهادة الاخرى فهى عن تجربة الدمج فى قسم جنوب القاهرة وبقدمها شحاته النشار « كنا فى الموحد حزب متماسك ولنا نفوذ كبير · وكنت انا عضو فى لجنة قسم جنوب القاهرة وتضم احياء السيدة ، المنيل ، مصر القديمة ، المعادى ، حلوان ، الخليفة وفى عام ١٩٥٧ كان لدينا فى القسم حوالى ٥٥ عضوا ، كان عملنا الحزبى يستعيد نشاطه بحيويه شديدة ، وكان تيار الوحدة طاغيا وغالبا على الجميع · وبينما كنا نتحدث عن الوحدة كامل فوجئنا بالمسئول يبلغنا بان الوحدة قد تمت مع الراية وان الحزب

---

(٢٧) الرفاعى ــ المرجع السابق .

(٢٨) رحمى ــ المرجع السابق .

(٢٩) محضر نقاش مع فوزى حبشى ــ اجريت المناقشة فى القاهرة فى ١٩٨٢/٥/١٧

المتحد قد تكون واننا سنتحد خلال ايام مع اعضاء الراية فى لجنة القسم ..
وبعد أيام تسلمنا فقط ثلاثة اعضاء فقط وشخص رابع كنا نعلم أنه يعمل مع الأمن ولما ابلغناهم بذلك تخلوا عنه دون مناقشة ..

وقد ضم الثلاثة الى اللجنة القيادية للقسم واستمروا فى العمل معنا ، وللحقيقة كانوا متجاوبين معنا وكان العمل معهم سلسا وسهلا ومفيدا »(٤٠) .

فماذا عن منطقة بحرى ؟

يقول عبد الله الزغبى « فى فترة الموحد كنا تاعمل فى منطقة بحرى عضوا فى لجنة المنطقة وكانت منطقة بحرى تضم محافظات الغربية والدقهلية والشرقية وكفر الشيخ وبورسعيد والاسماعيلية اما السويس والمنوفية والقليوبية فكانت تابعة للقاهرة ، والبحيرة كانت تابعة للاسكندرية ، وعندما اتحدنا مع الراية لم يحدث أى تغيير يذكر فى منطقة بحرى لا فى التركيبة التحتية ولا التركيبة القيادية فلم تقدم الراية أحدا فى هذه المنطقة .. وما اقوله كشاهد للتاريخ انه فى المحافظات التى كانت تضمها منطقة بحرى فان الراية لم تقدم احدا . ولم نشعر فعليا بالوحدة الا عندما اتى لنا م . س . ا ليشرف على المنطقة وليبلغنى انه قد صدر قرار بتنزيلى الى عضو لجنة دكرنس »(٤١) .

اما الصورة عن البحيرة فيقدمها عبد صالح مبروك « انا دخلت الموحد عضوا فى حدتو وكنت أعمل فى كفر الدوار . عندما تمت وحدة المتحد كنا نعمل فى كفر الدوار كاقوى مجموعة والباقون كانوا ضعاف .. فجأة ودون مقدمات ودون شرح اتى المسئول ليبلغنا ان الوحدة قد تمت مع الراية ودعيت الى اجتماع لجنة منطقة كفر الدوار فوجدت نفسى وحيدا مع اربعة من الراية وتولى مسئولية المنطقة عبد المحسن الأعسر (الراية) .. كان الموحد قد انضم للمنطقة بعضوية عددها ٣٧ اما الراية فقد اتضح انهم فقط الاربعة الذين اتوا الى القيادة »(٤٢) .

.. وثمة شهادة مختلفة لابد من وضعها فى الاعتبار يقول انور ابراهيم (ع . ف) عن الوحدة فى المنيا « بالنسبة للمنيا القيادات الموجودة كانت ع.ف والراية أما الموحد فقد كان ضعيفا جدا . وكانت القواعد تواقة

---

(٤٠) محضر نقاش مع شحاته النشار ـ اجريت المناقشة فى القاهرة فى ١٩٨٤/٦/٩

(٤١) محضر نقاش مع عبد الله الزغبى ـ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٥/١/١٠

(٤٢) محضر نقاش مع عبد صالح مبروك ـ اجريت المناقشة بالاسكندرية فى ١٩٨٥/١/٢٧

للوحدة وكان لويس اسحق مسئول ع ٠ ف فى المنيا من أشد المتحمسين لها ٠ ولم يكن هناك أى غش فى قوائم العضوية فى حدود ما شاهدت فى محافظتى المنيا وبنى سويف ٠٠ وفى المنيا قدمت الراية اربعين عضوا اغلبهم من ملوى وقدم الموحد حوالى عشرة فقط »(٤٣) ٠

ونعود فنتذكر الكلمات الموحية للدكتور فؤاد مرسى ٠٠ « عندما اعود بالذاكرة الى هذه الايام والاحداث فاننى اكتشف شيئا غير مقبول ، هو ذلك الذى مزقنا شر ممزق ، واعتقد انه فى ذلك الحين كانت كل منظمة تحاول ان تحصل على اكبر قدر من فرص القيادة فى الحزب الجديد ، وان كل منظمة قد حاولت ان تدعى انها كانت اكثر عددا من الاخريات » ٠

واكتفى بهذا ٠٠ ثم ادعوكم الى الانتقال الى موضوع آخر هو مسيرة الحزب المتحد . ذلك الحزب الذى تكون على عجل ، والذى فوجئت القواعد والكوادر الوسطى بقيامه . والذى ثارت كميات من الشكوك والهواجس المتبادلة عند طرفيه لدى عملية محاولة دمج وعائى العضوية فيه مع بعضهما البعض ٠٠

والغريب حقا ٠٠ كان امر هذه الكوادر الوسطى ٠٠ التى صرخت بأعلى صوتها للالحاح والاسراع بانجاز الوحدة ، بأسرع وقت ، وبأى ثمن ٠ فلما آن لها ان تدفع ثمن الوحدة بدأت فى الرفض وفى شجارات محلية شملت اماكن عديدة ٠٠

لكن الامر الواضح هو أنه كان هناك وعاء عضوية اكثر اتساعا وأكثر انتشارا لدى الموحد وان الراية اكتسبت موقعا افضل فى المنيا ٠٠ اما فى الاماكن الاخرى فقد كانت اكثر ضعفا ٠٠

كذلك فان النظرتين القديمتين فقد ظلتا تترددان على السنة الكثيرين ٠ حدتو تتهم الطرف الآخر بأنهم مثقفين معزولين ، والراية تتهمها بانها جماعة خال وفاضها من الثقافة النظرية وانها ذات نزعة عملية صرفه ٠٠

٠٠ على اية حال وبرغم هذا كله كانت هناك آفاق رحبة للعمل ٠

كانت هذه الوحدة برغم كل ما حاولنا ان نصبه عليها من سلبيات انتصارا موحيا وقادرا على الهاب المشاعر بالحماس والتفاؤل فقد كان الجميع فى حالة ملل من الانقسامية ورفض لها ٠

وكانت الظروف العالمية والعربية والمحلية تموج بفرص الانطلاق الجماهيرى الواسع ، وكانت الفرص مهيأة فعلا ٠٠

---

(٤٣) محضر نقاش مع انور ابراهيم ــ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٥/١/١٥

يقول شحاته النشار ونقدمه كمجرد نموذج لحالات منتشرة على نطاق القطر « كان لدينا (قسم جنوب القاهرة) عمل جماهيرى متسع ، ونفوذ كبير ، وحضور مستمر . وقد عقدنا مؤتمرا جماهيريا ضخما بالاشتراك مع هيئة التحرير وتحدث فيه عبد الله الطوخى كمتحدث عنا ، وكان المؤتمر ضخما فعلا وكنا نحن المسئولين عن الحشد ، وقد أعطتنا هيئة الاستعلامات ثلاث سيارات للمرور والدعاية للمؤتمر ، وكانوا يتعاملون معنا صراحة على انا ممثلى الحزب الشيوعى »(٤٤) .

لكن المعركة الجماهيرية الاشمل والاهم كانت معركة انتخابات فى مجلس الامة التى تقدم اليها العديد من المرشحين الشيوعيين وما لبثت السلطات ان اعترضت عليهم ومنعتهم من الترشيح .. وافلت احد اعضاء الوحدة فى ذلك الحين الدكتور فائق فريد فى دائرة جزيرة بدران (القاهرة) حيث فاز فوزا ساحقا .. مسجلا بذلك أول انتصار شيوعى فى تاريخ مصر الحديث فى انتخابات البرلمان ..

ويسجل مبارك عبده فضل بموضوعية « وللحقيقة فان عددا من رفاق الراية قد أسهموا اسهاما واسعا ومفيدا للغاية فى هذه المعركة ، خاصة انه كان للراية وجود مهم فى هذه الدائرة » .

وعن الدوائر الاخرى « قام رفاق المتحد بدور كبير فى تأييد العناصر التقدمية من مرشحى السلطة الناصرية مثل كمال الحناوى (الدرب الأحمر)، ابو الفضل الجيزاوى (الجيزة) احمد فؤاد (الدقى) وفى الشرقية كمال رفعت ولطفى واكد »(٤٥) .

واذا كان المتحد قد نجح ولاول مرة فى تاريخ مصر الحديث بان يفلت واحدا من كوادره المرموقين الى المجلس التشريعى ، ونجح ايضا فى أن يخوض معارك ناجحة وجماهيرية الى جانب عدد من المرشحين التقدميين ، فان هذه الانتخابات ذاتها قد تسببت فى جرح بالغ لم يلتئم أبدا .

ففى دائرة الوايلى ابقى النظام بعد ما سجل اعتراضاته على الغالبية الساحقة من المرشحين الشيوعيين والتقدميين .. مرشحين بسارين ليواجها بعضهما البعض فى اشرس معركة انتخابية استنفذت الكثير الكثير من طاقة وجهد أطراف الحرب الوليد واستنفذت معها ايضا الكثير من امكانات التوحد معـــا ..

ولست اعتقد أن الامر كان وليد مصادفة ، بل لعله تدبير محكم استهدف

---

(٤٤) النشار ـ المرجع السابق .

(٤٥) فضل ـ المرجع السابق ـ ص ٥٢

استنفاذ طاقة الحزب الوليد واشغاله خلال المعركة الانتخابية بمعركة شرسة بين بعضه البعض ·· وايضا تحمير ممكنات الثقة بين اطرافه ··

فى دائرة الوايلى تواجه د· عبد العظيم انيس مع عبد العزيز مصطفى ·

وكانت المصيدة التى أعدت غاية فى الذكاء ·· واستدرج اليها الطرفان فى سذاجة نادرة · فعبد العزيز مصطفى النقابى المعروف والـذى كانت له علاقة تاريخية بحدتو يواجه عبد العظيم انيس الآتى مع الراية فى ظروف غريبة ، وكانت للموحد أسبابه الخاصة فى تصعيد الموقف ضده ·

وكان منطق الموحد ·· تشجيع مرشحى العمال لاتاحة الفرصة أمام الطبقة العاملة كى تتواجد فى مجلس الامة ، وانه لا يليق ان نزاحم نحن القيادات النقابية ··

وكان منطق الراية ·· ان الاولوية لتأييد رفاقنـا فى الاماكن التى يستطيعون الفوز فيها ·· وبرغم بساطة القضية وامكانية حسمها على هذا الوجه أو ذاك فقد اشتعل فتيل الخلاف وتصاعدت الفتنة داخل الحزب الوليد ، ونسى الطرفان توحدهما ، ونسيا معركتهما الاساسية واتخذ كل منهما من هذه « الموقعة » (اذا جاز هذا التعبير) مؤشرا على مدى قوتـه وفعاليته ·· وسبيلا لافراغ شحنات الخصومات القديمة ··

ولندع واحدا من شهود الموقعة غير المنطقية يتحدث « بدأ الخلاف فى مسم وسط القاهرة يدب بشكل عنيف فور بدأ الانتخابات ·· فى البـداية وصلنا توجيه حزبى بتأييد عبد العزيز مصطفى ثم فجأة وصل تبليغ آخر بأن الحزب لا يلزم أحدا بموقف واننا أحرار فى التصويت لمن نشـاء ·· وانكسر الالتزام الحزبى ، بل انقسم الحزب فعليا فى الانتخابات وللاسف حققت السلطة هـدفها باشعـال الفتنة فى صفوف الحزب ·· وقد انهكت الانتخابات فى هـذه الدائرة الحزب انهـاكا شـديدا ، وخرج منهـا مشروخا »(٤٦) ·

* * *

وبرغم قصر الفترة التى عاشها المتحد (من أول يوليو ١٩٥٧ وحتى اوائل يناير ١٩٥٨) فقد أصدر العديد من النشرات والمنشورات والمجلات الداخلية التى توضح لنا ليس فقط التوجهات السياسية للحـزب الوليـد وانما ايضا بدايات افتراق الموج ··

فالوفاق الفكرى الذى تسارع الى النمو ·· وربما دون التفـات للخلفية التاريخية للخلاف ، سرعان ما تشقق عندما اعترضته مجرد علامات

---

(٤٦) حبشى -- المرجع السـابق .

استفهام ·· ومجرد خلافات هامشية لتقييم المستجدات فى الوضع ··
ولنبدأ ببعض النماذج من المنشورات ··

ونلاحظ انه قد برزت فى دعاية المتحد مسألة الاهتمام بالعناصر المؤيدة للنظام من الاخوان المسلمين ·· ونجد فى هذا الصدد منشورين

الأول بعنوان « ماذا يجرى فى سجن الواحات · الارهاب يسود سجن الواحات ـ مكتب الارشاد فى الواحات يقود حملة ارهابية لقتل المؤيدين للحكومة · نحن نحمل وزارة الداخلية مسئولية قيام مجزرة فى سجن الواحات الخارجة » ·

ويتحدث المنشور عن وجود عناصر مؤيدة لحكومة عبد الناصر وسط الاخوان وان هذه العناصر تتعرض للارهاب والتهديد من جانب مكتب الارشاد والجهاز السرى للاخوان ··

ثم يقول المنشور « اننا نحمل مسئولية هذا الوضع الخطير لوزارة الداخلية ، ونحملها مسئولية ما يستجد من حوادث · ان الوضع خطير · فهنا خونة وهنا شرفاء ووزارة الداخلية تتجاهل هذا الوضع ، بل تزيد الطين بله فبدلا من ترحيلنا نحن والمؤيدين من الاخوان الى القاهرة يحضر ٢٦ رفيقا لنا من القاهرة الى المنفى »(٤٧) ·

ومنشور آخر حول ذات الموضوع بعنوان « مذكرة مقدمه الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر من المسجونين الشيوعيين عن الموقف من المسجونين من جماعة الاخوان المسلمين »(٤٨) ·

ولكن وبينما كان الشيوعيون غارقون فى حسن النوايا ·· وفى معركة الدفاع عن الغير فوجئوا باحياء قضية شيوعية قديمة وتقديم ١٨ من المتهمين فيها الى المحاكمة ، وبان جريدة الاهرام قد افردت مكانا بارزا وعنوانا ضخما بصفحتها الاولى لهذا الخبر ··

·· ويصدر الحزب المتحد بيانا يقول : « كلما عنفت المعركة بين الوطن العربى وبين الاستعمار العالمى وعلى الاخص الاستعمار الامريكى وكلما اتضح امام العناصر الرجعية فى داخل جهاز الدولة والصحافة أن الحكم الوطنى فى مصر وسوريا يمضى فى طريق وطنى ديمقراطى لا رجعة فيه ،

---

(٤٧) منشور بعنوان « ماذا يجرى فى سجن الواحات » المرجع السابق .

(٤٨) منشور مطبوع بالمطبعة بحجم الفولسكاب ـ وموقع باسم المسجونين الشيوعيين بسجن القاهرة عنهم شريف حتاتة ـ محمود توفيق ـ احمد على خضر ـ كمال خليل الشاذلى (نسخة أصلية) .

كلما حدث ذلك ، جن جنون العناصر الرجعية وحاولت باستماتة ان تقوم بأى عمل تخريبى يائس خدمة للاستعمار الامريكى ومؤامراته على الحكم الوطنى ·· ومن المؤسف ان تقع جريدة الاهرام أداة فى خدمة المآرب الامريكية ·· لقد دأبت هذه الجريدة على محاولة التأثير على القارىء المصرى خاصة والعربى عامة والايحاء له عن طريق العناوين الضخمة فى صفحاتها الاولى ايحاءا يخدم المصالح الامريكية بشكل خبيث » ·

ثم يمضى البيان قائلا : « ·· والاهرام يعلم كما تعلم الحكومة ان الشيوعيين المصريين يؤيدون الحكومة الوطنية بكل قوة واخلاص لا يدفعهم الى هذا تملق أو زيف وانما يدفعهم الى ذلك الموقف ادراكهم الكامل لمصالح الشعب المصرى المباشرة والبعيدة ·· ان الشيوعيين ليسوا بحاجة الى ان يثبتوا من جديد مواقفهم الوطنية وهم يوقنون بان أى موقف معاد للشيوعية فى الداخل لا يعنى الا خدمة الاستعمار الامريكى الذى يحاول تنفيذ مؤامرته باسم مكافحة الشيوعية ·· » ·

ثم يأتى البيان الى الجرح الحقيقى و ·· « وتتضح هذه المحاولات من جانب الاهرام متى علمنا أن بعض مضبوطات هذه القضية تحتوى على مواقف سياسية قديمة وخاطئة بالنسبة للحكومة الوطنية وبالنسبة للدستور الحالى ·· والشيوعيون لا يخشون ان يعترفوا بأخطائهم الماضية أمام الجماهير فى صراحة وأمانة ·· وفوق هذا يعلم الجميع اننا قد عدلنا موقفنا منذ زمن طويل واننا نقف فى طليعة القوات الوطنية المصممة على الدفاع عن الحكومة الوطنية وكافة المكاسب الشعبية » ·

ثم يذكر البيان « ·· ونحن نرفض ان نقع فى الفخ الاستعمارى القذر ، بل نحن ننتهز هذه الفرصة لنعلن تأييدنا الواعى للحكومة فى كافة مواقفها الوطنية » (٤٩) ·

ولذات الموضوع يكرس العدد الرابع من مجلة الانتصار ـ المجلة الخارجية التى أصدرها الحزب الموحد ··

وتتساءل الانتصار « ما معنى تقديم ١٨ مصريا للمحاكمة بتهمة الشيوعية فى هذه الظروف ؟ ما معنى تحريك هذه القضية وقد مضى على انتهاء التحقيق مع كثير من المتهمين فيها عام ونصف وبعضهم انتهى التحقيق معه منذ ثلاث أعوام ؟ »

---

(٤٩) منشور مطبوع بالمطبعة على أربعة صفحات نصف فلوسكاب . والصفحة الاولى خالية الا من براوز يضم عنوانا بنط كبير « بيان الى الشعب » وتوقيع الحزب الشيوعى المصرى الموحد ..د.ت (نسخة اصلية) .

ونقول ، ان هذا يعني تفتيت الكفاح الوطني ومحاولة شغل الوطنيين بصراع فيما بينهم بدلا من أن يتجهوا بكل قواهم لمواجهة الاستعمار متحدين متعاونين . انها ضربة موجهة ضد الجبهة الوطنية التي يقف الشيوعيين في صفوفها الاولى يقدمون أنبل مثل للتضحية والاخلاص لقضية الوطن ولحماية الحكم القائم .. ان احياء نغمة مكافحة الشيوعية ومحاربة الشيوعيين ستفسح المجال أمام المتشككين واليساريين أولئك الذين يحاولون ايهام الشعب وخاصة الطبقة العاملة أن الحكومة الوطنية غير جادة في مواجهة المستعمرين . أولئك المتطفلون على الشيوعية الذين تعودوا أن يسيئوا بمواقفهم اليسارية المتهوسة للجبهة الوطنية والحكم الوطني تحت شعارات اشتراكية وماركسية زائفة » .

وتمضي الانتصار قائلة ، ان احياء هذه القضية يرجع مضبوطاتها الى حوالي عامين مضيا في ظروف ووقت كان موقف كل من الحكومة والشيوعيين يختلف عما هو عليه الآن هي محاولة لاحياء خلافات ، قديمة وفتح جروح أليمة في جسم الجبهة الوطنية » .

ثم .. ، ولكن من هو المسئول عن تقديم هذه القضية .. من المسئول عن الضرب على هذا الجرح القديم في جسم الوطن ؟ .. انها فئة قليلة العدد ، ولكنها على جانب من النفوذ في الجهاز الحاكم .. »

وتأكيد .. ، يجب ألا نبالغ في قوة الفئة المتخلفة من البرجوازية الحاكمة فالاتجاه العام للامة والدولة ضد ما تشاء ، ولا يجب أن يعمينا هذا النصر المؤقت الهزيل الذي أحرزته هذه القوى عن عظم الانتصارات التي يحققها الوطن في ظل الحكم الوطني القائم تحت القيادة الرشيدة للرئيس جمال عبد الناصر » (٥٠)

.. ولا شك أن المتحدث قد ووجه بمأزق حقيقي . فان تحريك هذه القضية قد هز كثيرا من المعتقدات الجديدة وربما جاز لنا أن نقول « الأوهام » الجديدة .. ولا شك أن رفاق حدتو قد شعروا بمأزق مزدوج فان القضية كانت خاصة برفاق الراية .. ومضبوطاتها تتحدث عن فاشية وعمالة جمال عبد الناصر . بل وعمالتهم هم ..

.. وعلى أية حال ، فمن الان فصاعدا سنلمح في كافة المواقف نغمة

---

(٥٠) الانتصار ــ جريدة الحزب الشيوعي المصري المتحد ــ السنة الأولى ــ العدد الرابع ٥ سبتمبر ١٩٥٧ م ــ ٩ صفر ١٣٧٧ هـ . عدد خاص ــ الثمن خمسة مليمات .. وهي على شكل كتيب من ثماني صفحات نصف فولسكاب مطبوع بالمطبعة . (نسخة اصلية) .

غريبة تضيف كل الانتصارات الى سدة الحكم . فاذا وقعت أخطاء نسبت الى شيء وهمي أسمي « الفئة المتخلفة » أو «الدوائر المعادية لتوجهات الحكم» بينما كان الجميع يعلمون أن شيئا ما لم يكن ليحدث دون قرار مسبق من أعلى سلطة ..

.. ولنلت الآن الى النشرات الداخليه .

امامنا العدد الاول من « حياة الحزب » النشرة الداخلية ..

.. وتبدأ موضوعات النشرة بعنوان ملفت للنظر « هكذا استقبل المكتب السياسى لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى تكوين حزبنا المتحد » ثم .. « تلقت اللجنة المركزية لحزبنا هذه الرسالة من المكتب السياسى لحزب العمال والفلاحين .. » .

ثم نص الرسالة .. ونقرأ فيها « .. علمنا بمحض الصدفة أن الوحدة التنظيمية بين حزبيكم لم تتم الا منذ أيام قليلة . هذه الوحدة التى أعلنتم عن قيامها فى الاجتماع الثامن لمكتب الوحدة (شهر مايو ١٩٥٧) والدليل على أن الوحدة بين حزبيكم لم تتم الا منذ أيام قليلة هو ما يلى :

١ ـ اتباع كل من الحزب الموحد والمصرى خطين مختلفين فى الانتخابات .

٢ ـ صدور مجلة راية الشعب بتاريخ ١٨ يونيو وهى لسان حال الحزب الشيوعى المصرى .

٣ ـ بعد اعلان ترشيحات الاتحاد القومى طلبنا من رفاق الحزب الموحد فى الاسكندرية أن نصدر بيانا مشتركا فقدموا بعض الاعتذارات منها أنهم لا يعرفون هل يوقع البيان من جانبكم باسم الحزب الموحد أم باسم الحزب المتحد .

٤ ـ سئل رفاق الموحد فى لجنة التنسيق بالاسكندرية هل هم يمثلون أيضا الحزب المصرى فأجابوا بالنفى ..

وتمضى الرسالة .. « أيها الرفاق أن الوحدة بين الشيوعيين ليست ملكا لأفراد معينين ولا لقيادات معينة تقدمها أو تؤخرها كما تشاء . وعندما رفض حزب العمال والفلاحين أن يعلن اتمام الوحدة معكم على أساس الوثائق الانتهازية هاجمتمونا وقلتم ان أعداء الوحدة أطلوا برؤوسهم فى حزبنا .. ورحتم فى كل مكان تذيعون أننا أعداء الوحدة ..
والان نرى أن من حق جميع الماركسيين فى مصر أن يعرفوا بالدقة

ساذا تأخرت الوحدة بين حزبيكم هذه المرة . مع أن الوحدة كما قلتم مسألة ناضجة بل أكثر من ناضجة ·· وفى الوقت نفسه نسجل ما يلى :

أولا : لقد سلكتم معنا فى مكتب الوحدة بخصوص هذا الموضوع مسلكا غير أخلاقى . ففى الوقت الذى أعلنتم فيه عن اتمام الوحدة ، مصيتم فى ايهامنا انها تمت فعلا ، فى حين أن الخلافات بينكم كانت قد بدأت ··

ثانيا : أيها الرفاق اننا نسجل أن الوحدة بين حزبيكم قامت على أسس سياسية انتهازية ومعادية للماركسية ·· ان النتائج المباشرة للتفكير السياسى التى اشتملت عليها الخطة التى رفضها حزبنا قد أخذت تظهر فى الكفاح العملى · فقد ظهرت فى الفترة الاخيرة فى سلسلة من مواقف التسليم والتراجع الذى أبداه الحزب الموحد وخاصة من القانون الذى حرم على الشيوعيين أن يرشحوا أنفسهم ·· ومن تدخل الاتحاد العام للعمال كحزب فى المعركة الانتخابية » ·

ثم ·· « ·· أيها الرفاق اننا نطالبكم باسم الحزب الذى سيجمع بيننا فى المستقبل القريب أن تكونوا من التواضع بحيث تعيدون النظر بكيفية ناقدة فى الخطة السياسية التى رفضها حزبنا ، حيث أن كل المفهومات التى فيها تطبق فى مختلف المجالات تطبيقا عمليا وتتسبب لا فى عزل الشيوعيين عن الجماهير فحسب بل وفى اضعاف وحدة الحزب الداخلية وتصفيته فى نهاية الأمر » ·

·· ويرد المكتب السياسى للمتحد ·· قائلا « والواقع أن رسالتكم هذه لا تحمل مجرد اتجاه استفزازى بل انها فى الحقيقة محاولة جديدة من جانبكم لاثارة المشاكل والصعوبات فى طريق بناء الوحدة ، لقد كنا نأخذ عليكم دائما أنكم لا تسيرون فى الطريق السليم للوحدة . هذا الطريق الذى يقوم على أساس تحديد نقاط اتفاق وانجاز الوحدة على أساسها، وتحديد نقاط الخلاف وتصفيتها داخل الحزب الواحد ، وكنتم تحرصون دائما على اثارة المشاكل ، وتخلطون بين ما هو مبدئى ، وما هو غير مبدئى فتوافقون على اللائحة فى مكتب الوحدة وسرعان ما تتبين لجنتكم المركزية ثمانية عشر خطئا فى هذه اللائحة تتمسكون بتصفيتها قبل انجاز الوحدة ، وبعد مناقشات تذوب هذه النقاط ·· وتتم تصفيتها بعد أن تضيع على الحركة الماركسية أسابيع وأسابيع من الجهود المكتبية ·· وتتفقون فى مكتب الوحدة على الخط السياسى ، ثم سرعان ما تنقضونه ، لأن كلمة هنا أضيفت ، وكلمة هناك لم تضف ثم تسعون الى الباس الخلافات السياسية جميعا · لباس المبادىء الاساسية فى النظرية الماركسية اللينينية على حين لا تخرج هذه الخلافات التى

لا تنكرها على أنهـا فهم متقـدم حى . وفهم متخلف جامد لطبيعةالبرجوازية الوطنية ولطبيعة الدور الذى تقـوم به . وفى أسلوب بناء الجبهة الوطنية وفى مفهـوم الديمقراطية وعلاقتها بالقضية الوطنية ، (٥١)

وقبل أن نسترسل نتوقف لنلاحظ ..

* ان هذا الحديث المتشدد بين الطرفين سرعان ما ذاب بعـد ثلاثة أشهر دون بروز أى متغير سياسى أو موضوعى فى المواقف .

* ان تشدد ع.ف ازاء الخط السياسى للمتحد كان مثيرا للدهشة لسببين أولهما أن ع . ف هى التى كانت (كما لاحظنا من قبل) تنتقـد عبر اجتماعات لجنة التنسيق التوجهـات اليسارية وتدعو الى الاعتـدال ، وثانيهما أنهـا وبعـد ثلاثة أشهر قبلت الوحـدة بل وأسرعت نحوها على ذات الاسس التى أشبعتها انتقادا .

ويبقى بعـد ذلك أن نواصل اطلاعنـا على العدد الاول من حياة الحزب فانـا سنجد فيه ثروة حقيقية من المعلومات ..

لمـاذا تأخر تنفيذ وحـدة المتحد من مايو حتى ٢٨ يونيو ١٩٥٧ ؟

.. « من الطبيعى أن تكون هناك ضمانات للاستقرار السـياسى فى حزبنـا الجـديد ، وكان من الطبيعى كذلك أن تكون هناك ضمانات لانجاز الوحـدة الشاملة مع ع.ف . وكان من الطبيعى أن تكون هناك اختـلافات فى وجهـة نظر رفاق الحزب المصرى والمتحـد حول هذه المسائل ، ولكن تم الاتفـاق أخيرا على هذه المسائل جميعـا التى أخـذت من عملية انجـاز الوحـدة التنظيمية اكثر من جلسة . ثم كـانت هنـاك أمور أخرى تتعلق بأسلوب عمـل المكـاتب المركزية . وتحـديد اختصاصاتها وبعلاقة هـذه المكـاتب بالتنظيم الحزبى . وبشكل هذا التنظيم الحزبى وباختيار لجنة دائمة تقـوم مقـام السكرتير العـام لفترة معينة .. وموعد فتح بـاب المعركة الايديولوجية حول الخط السياسى . وأسلوب التصويت فى اللجنـة المركزية فى حالة تغيير هذا الخط او تعـديله وأسلوب التصويت عامة بمـا يقضى على أى اتجـاه للتكتل .. هذه وغيرها من المسائل التنظيمية أخرت انجـاز الوحـدة الثنائية بضعة أسابيع »(٥٢)

ومعلومة أخرى نلتقطها من فحصنا لهذا العدد الاول وهى أن الحزب

---

(٥١) حياة الحزب ـ النشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى المتحد ـ العدد الاول ـ اغسطس ١٩٥٧ ـ كتيب من ٣٦ صفحة ونصف فولسكاب ، مكتوب بالآلة الكاتبة العربية ومطبوع بالرونيو ـ (نسخة اصلية) .

(٥٢) المرجع السـابق ـ ص ١٢

المتحد قد اتهم ع ٠ ف بأنها أصدرت منشورا غفلا من التوقيع ، هذا المنشور الذى تتهمون فيه الحكومة بالتزوير ، ونحن من واجبنا نود أن نؤكد لكم أن مثل هذا العمل فضلا عن أنه لا يدل على شجاعة سياسية فانه يعبىء الجماهير بالسخط والتشكك ضد حكومتنا الوطنية ويحرفها عن الانجاز الرئيسى لمعركتنا الوطنية ضد الاستعمار والاقطاع والاحتكار ، ويتفق موضوعيا مع ما ترتده كل يوم اذاعات صوت أمريكا وصوت الحق ، اننا لا نعترض على نقد الحكومة فى أخطائها ولكن بشرط أن يكون هذا النقد نقدا بنائيا يقوم على أساس سياسى ويتفق مع الخط الرئيسى لمعركتنا الوطنية »(٥٢)

ثم دراسة مهمة عن « دلالة المعركة الانتخابية ومهامنا الديمقراطية المقبلة » ٠

٠٠ « انتهت أول انتخابات تجريها مصر فى ظل ثورتها الظافرة ، وطبقا لدستورها الجمهورى ، واجتمع مجلس الامة المنتخب ليواجه مهامه العديدة ، ويقول كلمة الأمة فى أمور بلادنا ومستقبل ثورتنا ، وبذلك أخذت مصر تستكمل حياتها الديمقراطية وهى تنجز ثورتها الوطنية ؟

وأيضا ٠٠ « لقد كانت الانتخابات معركة سياسية تاريخية فقد جرت على أرض مصر التى تنجز ثورتها الوطنية الديمقراطية ، وبالتالى لم يكن الغرض مجرد تكوين أى برلمان ، وانما انتخاب مجلس للامة يكون برلمانا للثورة مهمته صون الثورة لا التفريط فيها ، مهمته مواصلة الثورة لا العدول عنها ٠٠ انها معركة أخرى فى سلسلة معاركنا الوطنية ضد الاستعمار وأعوانه وانها تتويج جديد لكفاحنا الديمقراطى من أجل أن تتولى الامة والطبقات الشعبية حكم نفسها بنفسها ٠ »

وتعليقا على الاعتراض على العديد من المرشحين يقول ٠٠ « واذا كانت الحكومة قد استبعدت بهذا القرار عددا كبيرا من المرشحين الرجعيين وعملاء الاستعمار المعادين لثورتنا الوطنية الديمقراطية وبذلك سدت السبيل عليهم منذ البداية وصانت المعركة الانتخابية ومجلس الامة من تخريبهم ، فان ذلك القرار قد حلت وطأته أساسا بكثير من الوطنيين المعادين للاستعمار وبخاصة الشيوعيين » ٠

ثم يجدون المبرر ٠٠ « فما الذى دعا الحكومة لاصدار هذا القرار ؟ لقد تعجلت الحكومة اجراء الانتخابات وليس فى البلاد تنظيم سياسى يضم الوطنيين ويوعيهم وينظمهم ويخوض بهم المعركة الانتخابية ٠٠ ، لذلك اعتمدت الحكومة على اجراءاتها الادارية لخوض أخطر معركة سياسية » ٠

---

(٥٢) المرجع السابق ص ١٦

وأيضا ٠٠ « وليست الحكومة وحدها هى المقصرة وانما يقع على الشيوعيين جانب كبير من المسئولية ، فقد عجزوا من قبل عن جعل قضية تكوين الاتحاد القومى بوصفه شكلا تنظيميا للجبهة الوطنية قضيةجماهيرية تستجيب لها الحكومة ، كما اندفعوا للمعركة غير موحدين بل متضاربين مفتهزين الفرصة السانحة لاستعراض قواهم ، وفرض نفوذهم حتى على البرجوازية ذاتها ، غير مدركين لعواقب هذا الاتجاه عند الاستعمار واستخدامه لها لتخويف الفئات المتخلفة ، وتهديد الفئات المتقدمة من البرجوازية الوطنية ، لقد ساعدت أخطاؤنا الخطأ الاصلى الذى ارتكبته البرجوازية ٠٠ »

وأخيرا « ان المكتب السياسى الشيوعى المصرى المتحد يحيى مولد مجلس الامة كبداية جديدة لعهد جديد من الديمقراطية ازدهرة ، ديمقراطية الطبقات الوطنية التى تبنى مصر الغد ، ان مصر تخرج من ظلمات العصور الوسطى وتتحرر نهائيا من عبودية الاستعمار واستبداد الاقطاع ، وها هى تتجه بثبات نحو مستقبلها المشرق ، بحاضرها الوطنى الذى يفضى لمستقبلها الاشتراكى » (٥٤)

والتوقيع على هذا التحليل ٠٠ للمكتب السياسى ٠٠

٠٠ ثم نأتى الى ما هو أهم ٠ ففى معرض الرد على رسالة ع٠ف أوردت المجلة موجزا للخط السياسى الذى قامت على أساسه وحدة الحزب المتحد ، ولعلها الفرصة الوحيدة التى نجد فيها عرضا لهذا الخط الذى نعتقد أن الوقت لم يتح لأصحابه كى يصدروه ٠٠ ولنقرأ باهتمام ٠٠

٠٠ ١٠ ـ فى مقدمة خطتنا السياسية اتخذنا نتائج المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى أساسا لنظرتنا ولتحليلنا للاحداث العالمية ٠٠

٢ ـ فى الفصل الأول من هذه الخطة تبينا الاوضاع العالمية الجديدة التى تتميز بتحول الاشتراكية الى نظام عالمى ، وبتفكك النظام الاستعمارى والتزامنا بالنضال من أجل السلام ٠٠

٣ ـ وفى الفصل الثانى من هذه الخطة أكدنا على ضرورة انجاز الوحدة العربية الشاملة على الاسس الثابتة للقومية والتزامنا بالنضال من أجل انجاز الوحدة الفيدرالية مع سوريا كنقطة انطلاق للوحدة الشاملة ، وبرفض الصلح مع اسرائيل على أسس استعمارية وبالتمسك بقرار التقسيم الصادر من هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، كحد أدنى لحل قضية فلسطين وقد أكدنا أن الحل النهائى الحاسم لهذه القضية لن يتحقق الا بتصفية الاستعمار نهائيا فى الشرق العربى ٠

---

(٥٤) المرجع السابق ـ ص ١٨ .

٤ ـ وفى الفصل الرابع حددنا واجباتنا تجاه تدعيم الاستقلال فى بلادنا وتصفية بقايا الاقطاع والاحتكار ـ بعد أن استعرضنا التطورات الأخيرة التى جعلت من بلادنا دولة مستقلة ذات سيادة ..

٥ ـ وفى الفصل الرابع حددنا واجباتنا تجاه بنا الجبهة الوطنية المتحدة وتدعيمها وحددنا الطبيعة الطبقية والوطنية للحكومة القائمة التى تقود الجبهة والثورة الوطنية الديمقراطية وتتبنى شعارات الطبقة العاملة واشكالها فى الكفاح والتنظيم ..

٦ ـ ثم حددنا بعد ذلك دور الطبقة العاملة داخل هذه الجبهة وضرورة تنمية دورها القيادى وانحاز . تحالفها مع الفلاحين فضلا عن البرجوازية الصغيرة والمثقفين والبرجوازية الوطنية . وقررنا أن تولى قيادة الطبقة العاملة لهذه الجبهة هو الشرط الاساسى لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال بثورتنا الى مرحلة الثورة الاشتراكية .

٧ ـ ثم عرضنا بعد ذلك امكانية الانتقال السلمى ببلادنا الى الاشتراكية دون أن يغفل المارا‌ه والصراع داخل الجبهة الوطنية ..

٨ ـ ثم انتهينا أخيرا ببرنامج عام لاهداف الثورة الوطنية الديمقراطية .

٩ ـ ثم حتمنا خطتنا السياسية بتحديد واجباتنا الحزبية فى امرين

الاول : تدعيم وحدة الحزب الداخلية على أسس ماركسية لينينية سليمة .

الثانى : تحويل حزبنا الى حزب جماهيرى يقود الجماهير ويتعلم منها ويحرص على توثيق روابط التعاون المستمر مع الأحزاب العربية الشقيقة .

والآن .. أعتقد أنه بامكاننا أن ننتقل الى استعراض العدد الثانى من حياة الحزب لنلتقى على صفحاته بالرفيق خالد فى مقال بعنوان « الماركسية النظرية الحية » والمقال بالغ الاهمية بغض النظر عن مدى اتفاقنا أو اختلافنا مع ما تحمله من توجهات . واهميته تكمن فى التقييم الذى يعلنه لواقع الحركة الماركسية فى ذلك الحين والذى يعبر به عن وجهة نظر صاحبه ازاءها .

لنقرأ .. « كتب ستالين مرة يعرف مؤسسى الماركسية فقال انهم « القادة الأحياء للحركة البروليتارية الحية » .. والحركة الماركسية فى مصر وهى لا تزال منقسمة على نفسها تعبر فى هذه الايام محنة فكرية خطيرة .. ان أزمة فكرية تعصف بالحركة الماركسية المصرية وهى تحاول أن تفهم التطورات التى تقع فى مصر كاساس لوضع خطة سليمة للكفاح

الماركسيين المصريين . فالبعض يزحفون وراء التطورات ويلتمسون منها التفسير الجزئي العاجل الذى يدفع الكفاح بضع خطوات ، والبعض يركض خلف النصوص المكتوبة يلتمس رأيها فى التطورات الجديدة فلا يجد الا تفسيرات ناقصة فيمسك بها ويتعلق . الأولون مستغرقون فى عبادة التلقائية ، والاخرون متعلقون بعبادة النصوص البعض مهتم بالكفاح لا بالنظرية ، وآخرون ما يزالون يتأملون النصوص التاريخية ولا يفهمون كيف يطابقون بينها وبين الواقع الجديد .. والحركة الماركسية المصرية بين الفريقين مشلولة مترددة تسبقها تطورات الواقع وتفلت منها الحركة الجماهيرية ومعها الجماهير ذاتها .. » .

ثم .. « ان المؤتمر العشرين صرخة فى وجه عجائز الماركسية انغارقين فى النصوص ، العاجزين عن فهم الواقع ومقتضياته ، العاجزين عن أن يكونوا ماركسيين .. ان علينا نحن المصريين أن نبتكر لبلادنا الحلول النابعة من تراثنا الخاص والمسترشدة بكلمة الماركسية واللينينية فى عالم اليوم » (٥٥)

وبعد هذه المقدمه المبدعة يقدم الرفيق خالد « بعض الحقائق عن ثورتنا المصرية وعن برجوازيتنا الوطنيه ، وعن طبقتنا العاملة » لكن ما يقدمه يكون محل جدل شديد .. بل ومحل انتقاد أيضا من جانب البعض .

ولنقرأ .. « الثورة المصرية هى ثورة برجوازية وطنية ديمقراطية من نوع جديد تتم فى ظروف عالمية ومحلية متقدمة ، وظروف انتصار الاشتراكية عالميا . وانتصار الشعب داخليا وبخاصة الطبقة العاملة . هى ثورة وطنية وديمقراطية معا . يتولاها تحالف وطنى لا شعبى ، وتقوده البرجوازية الوطنية . وتلعب فيه الطبقة العاملة متحالفة مع الجماهير الشعبية دورا قياديا .. انها ثورة جديدة فى التاريخ لا يمكن أن تقارن بالثورة البرجوازية التقليدية . ولا بالثورة البرجوازية الجديدة كثورة الصين الشعبية .

والبرجوازية الوطنية المصرية هى برجوازية من نوع جديد لم يسبق

---

(٥٥) حياة الحزب ـ النشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى المتحد ـ العدد الثانى سبتمبر ١٩٥٧ ـ كتيب نصف فولسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ومطبوع بالرونيو (نسخة أصلية) ويتضمن العدد ثلاث موضوعات اخرى عن : العمل الجماهيرى ـ من أجل حركة نقابية موحدة ـ الحركة النسائية المصرية . وذلك كما هو وارد فى الفهرس المطبوع فى الصفحة الاولى لكننا لم نعثر الا على الاثنى عشرة صفحة الاولى والتى تتضمن المقدمة والموضوع الاول .. الذى نستعرضه الآن .

له مثيل في التاريخ فهي ليست البرجوازية التقليدية . ولا يمكن أن تقارن بها .. لا في حاضرها ولا في ماضيها ولا من حيث مستقبل كل منها . انها متقدمة في عالم احتضار الرأسمالية . صحيح أنها تفترس الاستغلال والعمل المأجور ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالتراكم الهدائي لرأس المال ضد الشعب بذهبه أو سرقته . كما انها لا تريد ولا تستطيع أن تتحول الى احتكار بل هي تقاومه وتفرض عليه القيود ..

بل وأكثر من ذلك .. ، انها برجوازية وطنية وطبيعتها وطنية ثابتة تشعر جميع الانحيازات العالمية . والحلية الى أنها وطنية تتدعم باطراد . وهي برجوازية يغزوها الفكر الاشتراكي .. وتتعلق بالاشتراكية العالمية برصيدها النظام الوحيد الذي يمكن ويريد أن يساوتها في مهمة تطوير بلادها ولكنها ليست طبقة تسعى للاشتراكية أو تكافح من أجلها انها برجوازية تعلمت بحكم تجربتها انها لا يمكن أن تتقدم بغير الاعتماد على معسكر الاشتراكية في الخارج ، وعلى الطبقات الشعبية في الداخل ..

ثم .. ، وبين البرجوازية الوطنية وبين الطبقة العاملة صراع طبقي وهو صراع يتم في حدود التحالف الوطني بينهما . ان التحالف بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية في مصر شكل جديد من أشكال الصراع الطبقي .. وفي هذا الصراع تعيد الطبقة العاملة تثقيف البرجوازية فيه بالفهم السليم لثورتنا الحالية . كما انها تتولى الدفاع عن مصالحها الاقتصادية اليومية على رأي الجماهير الشعبية في مواجهة البرجوازية ذاتها .. وفي خلال هذا الصراع تستطيع الطبقة العاملة أن تؤكد دورها القيادي داخل الجبهة الوطنية ، وتوثق تحالفها الضروري بجماهير الفلاحين وتسعى شيئا شيئا لتأخذ مكانها ليس فقط على رأس الطبقات الشعبية وانما على رأس الطبقات الوطنية جميعا ، وعندئذ تحقق سيطرتها على الجبهة الوطنية وتتهيأ الظروف للانتقال الى الاشتراكية تحت قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي ..

لكن الحياة كانت أكثر تعقيدا من تحليل كهذا .. وسرعان ما تقاطعت السبل لتثبت الايام ان سبيل الثورة الوطنية الديمقراطية في مصر لم يكن بمثل هذه الاستقامة ، وأن البرجوازية الوطنية لم تكن بمثل هذا التعفف ، وان الاشتراكية لم تقم بغزوها بما يكفي ..

* * *

والآن توشك رحلتنا مع الحرب المتحد أن تقترب من نهايتها .. ولكن يتبقى منها بعض ملاحظات ..

يروى مبارك عبده فضل ملاحظات ثلاث .. ، كانت هناك مشكلات

ويقـول « ان السعى الى وحـدة المتحد لم يكن خطأ من حيث المبدأ . وان كانت هناك أخطـاء أهمها التعجل دون توفير الشروط اللازمة . ومع هذا ورغم كافة الأخطاء والنواقص فقـد كان من الممكن نجـاح وحـدة المتحد .. فقط لو أخذت الفرصة الزمنية الكافية ..

لكن اقحام ع·ف فى هذه التركيبة التى لم تتوحـد بعـد فجر كـل شىء » (٥٧)

.. ومن حقنـا أن نسأل لمـاذا لم تنتظر وحدة المتحد ولو قليلا ..

ويجيب أحمد الرفاعى « ان رفاق الراية كانوا يخشون من سيطرة كوادر الموحـد فبدأوا يضغطون من أجل انجـاز الوحدة مع ع·ف· ولعلهم أغروا رفاق ع·ف بمغريات التحالف معهم فيما لو دخلوا الوحدة »(٥٨)

.. ويقـول مبارك « كان للاسراع نحـو الوحـدة مع ع·ف أسبابه .. فهناك أولا المنـاخ التوحيدى الشامل والذى طغى على كل محـاولة للتمهل .. وكانت العقبـات التى واجهتنا فى المتحـد عينة خاصة واننـا كنـا الاغلبية فى كل مكان فانسانا هذا كل احساس بالحذر وتدفقنا نحـو الوحـدة الشاملة فى سيل لا يمكن ايقـافه ..

أما العامل الثانى فكـان بعض السلبيات التى ظهرت فى وحدة المتحد واعتقـد البعض وانا منهم أن تلك المشاكل سوف نجد حلا لهـا فى اطـار الوحـدة الشاملة .. وبدلا من أن ننتظر لبعض الوقت حتى نجـد حـلا حقيقيـا للمشاكل التى واجهتنا فى المتحـد من خلال الانصهار فى العمـل السياسى والجماهيرى المشترك ثم نتوجه موحدين حقـا الى الوحدة مع ع·ف تخيلنـا دون أساس علمى أو عقـلانى ـ ان كل شىء يمكن حله فى اطـار الوحدة الشاملة ..

.. أما الوهم الثالث الذى وقعنـا فيه فهو اننا تصورنا أن تحسين التركيب الطبقى للحزب من خلال الوحدة مع ع·ف سوف يحل المشكلة .. فكمـا نعلم أن ع·ف كانت تضم فى صفوفها كوادر عمالية ونقابية أمثال (المحرك ـ العسكرى ـ أحمد بدر ـ أحمد سالم ـ عوض الباز .. الخ) ممن لهم دور جماهيرى ونقـابى . وحتى العناصر غير العمالية فى ع·ف فانهم بحكم احتكاكاتهم كانوا ذوى طابع شعبى ومن أبناء البرجوازية الصغيرة أو الوسطى .. مثل هذا التركيب الطبقى فى ع·ف مشابه للتركيب الطبقى للكوادر الموحد الذين شعروا بالغربة والخشية عندما جلسوا مع كوادر الراية الذين كان منهم القليل من العمال والقليل من العناصر الشعبية والكثـير

---

(٥٧) فصل ـ المرجع السابق ص ٥٢ .

(٥٨) الرفاعى ـ المرجع السابق .

فى وحدة التحد .. اهمها ان رفاق الراية كانوا مكتفين فى نظرنا ، بينما كنا نحن نتزع الى الواقعية وأذكر أن « م.س.أ » قد عد تقريرا عن الدعاية فى الحزب واسميته أنا فى الاجتماع بأنه تقرير بلشيكى أى يصلح لاى حزب حتى الحزب البلشيكى .. الا حزبنا .. وكانت المشكلة الثانية هى مشكلة انتخابات مجلس الامة فى حى الوايلى .. وكان عبد العزيز مصطفى وثيق الصلة بحدتو كما أنه كان مدعوما من عمال الترام (تركزهم السكنى فى حى الوايلى) ومن قيادات نقابية كانت على علاقة حسنة بنا مثل سيد مصطفى ومحمود فرغلى وفتحى كامل .. وقد اقترحنا على عبد العظيم انيس ان يستقل كشخصية عامة للترشيح فى حى اخر وتعهدنا بأن نساعده هناك ولكنه رفض .. وقد حاول رفاق الراية ارهابنا فاشاعوا أنه مدعوم من عبد الناصر شخصيا .. والنتيجة .. تجمع اغلب رفاق الوحدة فى القاهرة لتأييد عبد العزيز مصطفى ، بينما تجمع رفاق الراية ودعمهم رفاق ع.ث لتأييد عبد العظيم أنيس .. وطبعا خرج النظام علينا نحن الاثنين فى سرور ، ونحن نهاجم وندين ونستنزف بعضنا البعض . وفاز عبد العزيز مصطفى فى النهاية .. واذكر له أنه كان شجاعا فقد حضر للشهادة أمام محكمة الفريق هلال عبد الله هلال ليشهد لصالحنا وكان شجاعا فى حضوره ، شجاعا فى شهادته .. اما المشكلة الثالثة .. فكانت النظرة للمحترفين وكان رفاق الراية يقولون انه لا ضرورة للمحترف الحزبى الا فى حالات القمع واطارده ، ولا مانع فى الظروف العادية من محترف او اثنين للاجهزة الفنية . بينما كان الموحد يرى أن المحترف هو عصب كل عمل ثورى وحزبى .. وقد كان للموحد عدد كبير جدا من المحترفين بينما لم تقدم الراية محترفا واحدا » (٥٦)

وملاحظة اخرى يوردها احمد الرفاعى « اشهد أنه خلال وحدة التحد كان هناك رفاق توحيديون حقا وراغبون حقا فى انتصار الوحدة منهم د. فؤاد مرسى والهامى سيف النصر بينما كان هناك رفاق يضعون العراقيل فى خطوه وعلى راسه أ.ص.ع ، س.ز ، ع.س.ز ..

(وليعذرنى القارىء اذ أستخدم الرمز فلست أريد أن تكون مادة هذا الكتاب سبيلا للاساءة لأحد مهما كان الاختلاف معه ـ المؤلف) .

* * *

وقبل أن ننتقل تبقى اشارة مهمة ..

وهى أن احد منظمى هذه الوحدة ومهندسيها (مبارك عبده فضل) يرى أنه كان بالامكان انجاح وحدة التحد .. فقط اذا لم يسرع أصحابها نحو الاتحاد مع ع.ث ..

---

(٥٦) فضل ـ المرجع السابق ص ٤١

الانتقادات . بل وفرز الكوادر . ومن ثم يكون قد بذر بذرة التقسيم وهو يدعو للوحدة ..

ففى ١٩٥٧/١٢/٥ .. وبينما الوحدة الشاملة توضع لها اللمسات الاخيرة خرجت « الاونيتا » بمقال للرفيق « فيليو سبانو » (عضو المكتب السياسى للحزب) .. وعنوان المقال « الشيوعيون المصريون ـ قصة معقدة ـ اخطاء وانقسامات الماضى ـ الآفاق التوحيدية الجديدة ـ اختبار النار فى السويس ـ العلاقات العميقة مع الشعب ـ العنصر الحاسم لبناء حزب جديد وقوى » .

ويبدأ المقال بسرد تاريخى مليء بالاخطاء وبتجاوز الحقائق وبالانتقادات غير الموضوعية بل وبمحاولة الفرز بين الكوادر المكونة للحزب .. وفى الختام .. « ان النضال بين القديم والجديد سيكون طويلا ومريرا ، والقيادة الراهنة والحكومة الحالية اللتان اتخذتا سياسة صحيحة بشكل عام سوف تواجهان معركة سافرة مع بقايا الماضى .. وسوف يتميز هذا النضال بالاستناد الى كل القوى التى تسير على طريق الثورة الوطنية ذات الافق الاشتراكى . وأحد هذه القوى وفى الصف الاول منها يمكن ويجب أن يكون الحزب الشيوعى المصرى . فبالانطلاق على هذا المسار الجديد الذى سار عليه الشيوعيون المصريون بعزم وتصميم يمكنهم ان يكونوا قوة دائمة ودافعة للثورة الوطنية بشرط أن يواجهوا بحزم الاخطاء اليمينية واليسارية .. وان يرفضوا كل موقف انعزالى يقودهم الى العزله ويضعهم خارج اطار الحركة العامة »(٦١) بل وتضمن المقال انتقادات محددة ضد تيارات محددة ..

ولم يمر هذا المقال دون رد .. فقد اسرع هنرى كوريل بتوجيه رسالة الى الحزب الشيوعى الايطالى ينتقد فيها هذ المقال .. ونلتقط من الرسالة الملاحظات التالية :

ـ ان اثنين من مساعدى سبانو هما ايطاليان من اصل مصرى وكانا تاريخيا ضمن مجموعة الفجر الجديد التى اصبحت فيما بعد ع . ف وهما ريناتوميللى ، دينا فورتى ..

ـ ان الحزب الايطالى ظل لفترة طويلة ينتقد موقف حدتو من حركة الجيش لانه كان غارقا فى تفسير معظم الاحداث ومنها حركة يوليو ١٩٥٢ بأنها ثمرة للتناقض بين الاستعمار الامريكى والاستعمار الانجليزى ولم يقبل بتأييد حدتو لها .

---

(٦١) الاونيتا ـ ١٩٥٧/١٢/٥ (تفضل بالبحث عن أصل المقال وترجمته عن الايطالية الرفيق مارسيل تشريزى بطلب من المؤلف) .

من العناصر الراقيه فى المجتمع وخاصة فى صفوف القيادة وتصورنا خطأ ان رفاق ع٠ف سوف يحسنون التركيب الطبقى ومن ثم سوف تتأكد ممكنات التوحد ٠٠

٠٠ اما الوهم الرابع فهو ان رفاق ع ٠ ف كانوا يمتلكون بعض التواجد الجماهيرى فى العمال والطلاب وحتى فى بعض الاحياء السكنية صحيح انه كان قليلا بالنسبة لدورنا نحن ، لكنه كان اكبر من دور رفاق الراية ، ولقد توهمنا أن مثل هذا التوجه الجماهيرى سوف يلعب دوره فى تعزيز الوحدة »(٥٩) ٠

* * *

والغريب فى الامر ان هذا كان هو ايضا تصور رفاق ع ٠ ف ٠ فكما يؤكد محمد حلمى بيس « كنا نتصور ونحن مقبلون على الحزب الواحد اننا أقرب الى رفاق الموحد ومن رفاق الراية ٠٠٠ فوجودنا العمالى وأسلوبنا فى العمل الجماهيرى كانا يجعلان منا أقرب الى الموحد ٠٠ ولعل هذه كانت تصوراتنا لكننا بعد اتمام الوحدة فوجئنا بوضع جديد ٠ واقرر اننا بدأنا نتفاعم مع رفاق الراية فقط عندما قدم كمال عبد الحليم استقالته ٠٠ واحسسنا أن ثمة ترتيبا لعمل انقسامى »(٦٠) ٠

وهكذا فان الحياة قد اثبتت انها أكثر تعقيدا من كل حسابات مسبقة ٠٠ وبرغم التصورات والترتيبات فان ما أقيم هشا يظل هشا ٠٠ وما يبنى سريعا ودون ترو يمكنه أن يهدم سريعا ودون ترو أيضا ٠

لكننا بذلك نسبق الزمن بضع خطوات ٠٠

فلنسر مع ولادة الحزب الواحد ٠٠ خطوة خطوة كما تعودنا دائما ٠

فمنظمة ع٠ف وتحت ضغط الكوادر وحصار الجميع لها ٠٠ ومع مغريات تحالفها مع الراية وبعض رفاق الموحد أدركت ان الوقت قد حان ٠٠ وسرعان ما تناست شروطها المسبقة ، واتهاماتها بان الخط السياسى غير ماركسى ٠٠ وان الوحدة غير مبدئية واشتركت هى الاخرى فى السباق ٠

ويؤكد مبارك « ٠٠ ولم تكن هناك خلافات حول الوثائق السياسية ٠٠

٠٠ ومن جديد يطل الحزب الشيوعى الايطالى مقدما الحاحه على التوحد العاجل بل لعله فى هذه المرة قد تجاوز الحد من مجرد الدعوة للوحدة (وهو أمر مشروع وايجابى بل وضرورى) الى تحديد السياسات وتوجيه

---

(٥٩) فضل ــ المرجع السابق ــ ص ٥٦

(٦٠) محضر نقاش مع محمد حلمى بيس ــ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٦/٣/٨

ـ ان المقال يمتدح « اغلبية المجموعة القيادية للحزب » ·· أى انه ينصب نفسه حكما لفرز القيادة ··

ـ ان المقال يمجد الانقساميين اذ يقول « ان اشرف العناصر وأكثرها ارتباطا بالشعب المصرى قد بدأت فى التجول تائهة من تنظيم الى آخر ومن مجموعة الى أخرى »(٦٢) ·

وعندما أتوجه بدهشتى الى أحد قيادات ع · ف كيف كانت لكم كل هذه التحفظات التى قلتم أنها مبدئية ثم تناسيتموها سريعا ·· يقرر فى صراحة :

« كانت ثمة ضغوط هائلة ·· محلية (الكوادر) وخارجية وخاصة من الرفاق الايطاليين والعراقيين الذين الحوا وظلوا يلحون ويدفعوننا دفعا الى التنازل عن كل مطلب أو شرط نقدمه · بل لقد وصل الامر أنهم القوا على عاتق ع · ف المسئولية التاريخية لاعاقة الوحدة وهكذا ·· استسلمنا . كذلك كان هناك ضغط رهيب من الكوادر وخاصة الكوادر التى بالسجن أو التى كانت بالسجن . أنا شخصيا غيرت موقفى من مسألة الوحدة بعد ان دخلت السجن والتقيت برفاق المنظمات الاخرى »(٦٣) ·

وعلى أية حال ·· تمت الوحدة الشاملة ·· وارتفعت صيحات الابتهاج ليس فى مصر وحدها ، وانما فى أماكن اخرى عديدة ·· وحقق الكادر الشيوعى حلمه القديم فى حزب واحد يضم كل الشيوعيين ·· لكن بعض الاحلام تبقى أحلاما حتى ولو رأيناها رأى العين ··

* * *

« ·· نقسم نحن اعضاء الحزب الشيوعى المصرى الذى يسترشد فى كفاحه بالنظرية الماركسية اللينينية أن نحافظ على وحدة حزبنا وأن نناضل من أجل أن يصبح حزبا جماهيريا ونقسم على مواصلة النضال من أجل بناء جبهة وطنية متحدة . ونقسم على مواصلة النضال من أجل بناء مجتمع اشتراكى فشيوعى فى بلادنا » (٦٤)

---

(٦٢) صورة رسالة مكتوبة بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ مؤرخة ١٩٥٧/١٢/٢١ مودعة بارشيف جماعة أصدقاء هنرى كورييل بباريس .

(٦٣) بس ـ المرجع السابق .

(٦٤) ورقة نصف فولسكاب مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو معنونة « القسم الذى قررت اللجنة المركزية للحزب تلاوته بكافة الخلايا والمستويات الحزبية عند أول انعقاد لهـا » (نسخة أصلية) .

وهكذا وبعد الثامن من يناير ١٩٥٧ وقف كل الشيوعيون المصريون ليرددوا فى خشوع هذا القسم .. وانطلقوا ليعلنوا البشرى الى جماهير الشعب ..

« بيان الى الشعب » « اننا نزف الى المواطنين نبأ تكوين حزب جديد فى بلادنا هو الحزب الشيوعى المصرى ، وهو امتداد لتاريخ حافل لنضال الشيوعيين المصريين ، وحزب أكثر الطبقات فى مصر وعيا وانتاجا وتقدما . حزب الطبقة العاملة الذى يدين بنظرية الطبقة العاملة والنظرية الماركسية اللينينية باعتبارها هاديا ومرشدا لنضاله من أجل القضاء على الملكية الفردية لوسائل الانتاج ووضع حد لاستغلال الانسان لاخيه الانسان وبناء مجتمع اشتراكى فى بلادنا » ..

.. « ويقول البيان » .. ان هناك اخطاء ونواقص فى سياسة الحكومة وفى النظام الديمقراطى وان واجبنا كمواطنين مخلصين أن نتبادل النقد » .

ويقول .. « ان الشيوعيين المصريين مضطرين لان يعبروا عن آرائهم فى نشرات سرية وأن يباشروا نشاطهم الحزبى فى حدود السرية أيضا ، وهم ليسوا هواة ظلام . ولكن السرية فرضت عليهم فرضا بحكم القانون » .

واخيرا « ان الاشتراكية حلم البشرية قد اصبحت حقيقة واقعة فى ثلث العالم وان حزبنا الشيوعى المصرى اذ يحمل الى الشعب المصرى بشرى تكوينه ليمد يده الى كافة المواطنين الشرفاء بهذه الدعوة الجادة الى الوحدة » (٦٥)

.. ثم نداء الى الأعضاء « ناضلوا من أجل المحافظة على وحدة الحزب » وهو عبارة عن رسالة داخلية موجهة من اللجنة المركزية للحزب .. « ان الحزب الذى تأسس ليس هدفا فى ذاته وانما هو الوسيلة لوصول الطبقة العاملة الى السلطة ، وتحويل المجتمع الرأسمالى الى مجتمع اشتراكى شيوعى ، وهو يسترشد فى نضاله بالنظرية الثورية والنظرية الماركسية اللينينية .ويسعى لتطبيقها على الواقع المصرى مستفيدا من تجارب الطبقة العاملة العالمية وخبرة أحزابها الشيوعية والعمالية وعلى رأسها الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى » .

---

(٦٥) منشور مطبوع بالمطبعة معنون « بيان الى الشعب » وموقع « اللجنة المركزية الحزب الشيوعى المصرى ـ مؤرخ يناير ١٩٥٨ » ـ (نسخة اصلية).

.. « ان وحدة الشيوعيين تتدعم بتحويل حزبهم الى حزب جماهيرى لكى يحقق أهدافه ويكون قوة لها وزنها السياسى ونفوذها الفعال فى صفوف الجماهير الشعبية والوطنية وهذا يحتم ضم عشرات ومئات الآلاف من أبناء الشعب الى صفوف الحزب ، وأن يكسب الحزب آلافا من عمال الصناعة فى المدن ويغرس بذوره فى الريف بين الفلاحين لضمهم لصفوفه.. فلنكافح لتحقيق الماركسية اللينينية ، وتطبيق القيادة الجماعية فى كل الهيئات ابتداء من الخلية الى اللجنة المركزية »(٦٦)

ثم وثيقة بعنوان « الأسس الفكرية والتنظيمية لحزب الطبقة العاملة الشيوعى » وتتضمن عبارات يمكن القول بأنها من قبيل تأكيد ما هو مؤكد .. مثل « ان الحزب الشيوعى المصرى ليس هدفا فى ذاته وانما هو أداة الطبقة العاملة التى تمكنها من الوصول الى السلطة بهدف تحويل المجتمع من رأسمالى الى اشتراكى مستهديا بمبادىء التضامن الأممى البروليتارى .. » .. « ويقوم الحزب على أساس تنظيم ثورى غير قانونى ، ولذا يجب أن تكون النواة القيادية للحزب من المحترفين الثوريين ، وأن توضع سلامة الحزب فوق كل اعتبار وأن يقوم على مبدأ اليقظة الثورية الجماعية والفردية »(٦٧)

أما عن اللائحة التى توحد على أساسها الحزب فاننا للأسف لا نملك تحت أيدينا نصا متكاملا لها .. وانما مجرد ملاحظات أثبتتها النيابة العامة فى محضر اطلاعها على أوراق بعض القضايا ..

.. « ان الحزب الشيوعى المصرى هو ثمرة الوحدة الثورية بين حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى والحزب الشيوعى المصرى المتحد ، وهو حزب الطبقة العاملة المصرية الذى يهتدى بالنظرية الماركسية اللينينية ويكافح من أجل الاشتراكية فالشيوعية »(٦٨)

واللائحة تتكون من عشرين مادة .. وقد جاء فى الباب الثالث المعنون « التنظيم الحزبى » .

---

(٦٦) ملف القضية ٢ حصر أمن دولة عليا لسنة ١٩٥٩ المتهم فيها شهدى عطية الشافعى وآخرون ـ الجزء الثانى عشر ـ محضر الملاحظات العامة للنيابة ص ١١٧٢ . والقضية مقيدة برقم ٩ عسكرية عليا . ويلاحظ ان ذات النص تقريبا فى ملف القضية ٨ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٩ والمتهم فيها د. فؤاد مرسى الحداد وآخرون ـ الملحوظة رقم ٤ بمحضر رقم ٤ اطلاع النيابة المؤرخ : ١٩٥٩/١/٢٩ ص١٥٤٦

(٦٧) المرجع السابق ص ١٥٤

(٦٨) ملف القضية ٩ عسكرية عليا ١٩٥٩ المرجع السابق ص ١١٧١

« ان الحزب يتكون من الخلية وهى التنظيم السياسى الذى يقوم عليه الحزب ، وتتكون من عدد لا يقل عن ثلاثة اشخاص ويكون لها مسئول سياسى ومسئول عن التنظيم والمالية ويتكون من مجموع خلايا حى معين فى المدينة أو القرية او محل العمل تنظيم محلى تتولى قيادته لجنة تسمى لجنة القسم ينتخبها أعضاء التنظيم المحلى ولا يقل أعضاؤها عن ثلاثة ، ثم يلى ذلك التنظيم الاقليمى ويتكون من مجموعة التنظيمات المحلية فى منطقة معينة ويتولى قيادته لجنة تسمى لجنة المنطقة لا يقل عدد أعضائها عن خمسة ، ثم توجد اللجنة المركزية التى تتولى قيادة الحزب بأكمله وعلى عاتقها تقع مهمة رسم سياسة الحزب وتنفيذها . وينتخب المؤتمر العام للحزب أعضاء اللجنة المركزية ، وتباشر اللجنة المركزية مسئولياتها مجتمعة وبواسطة الاجهزة التى تشكلها . وتنتخب اللجنة المركزية من أعضائها المكتب السياسى الذى يتولى القيادة السياسية للحزب باسم اللجنة المركزية وتحت اشرافها .. » (٦٩)

.. وأخيرا هناك الوثيقة الاكثر أهمية « المواقف السياسية العامة للشيوعيين المصريين » والتى لا نمتلك للاسف سوى بعض مقتطفات منها واردة فى محضر اطلاع النيابة العامة ..

.. « ونحن الشيوعيون المصريون نرى أنه لا سبيل لتحسين احوال الطبقات الشعبية الا بالقضاء على النظام الرأسمالى واقامة المجتمع الاشتراكى ، وعلينا أن نكافح نحن أعضاء الحزب لكى تقوم الطبقة العاملة بدور طليعى فى الجبهة الوطنية ولكى يوجه الاقتصاد القومى فى خدمة الطبقات الشعبية بأن يوسع القطاع الحكومى فى المشروعات الكبرى وأن توزع الاراضى مجانا على الفلاحين الفقراء » .

.. « ان هذه الاهداف لا يمكن تحقيقها الا بقوة الجماهير الشعبية ، ولذلك فاننا نكافح نحن الشيوعيين المصريين من أجل الجبهة الوطنية المتحدة ، وهى حلف سياسى وشكل تنظيمى يضم الاحزاب والهيئات التى تعبر عن مصالح الطبقات الشعبية ، وان شرط وجود هذه الجبهة هو قيام حزبنا الشيوعى بقيادة الطبقة العاملة .. »

.. « ان ذلك كله لا يمكن أن يتحقق دفعة واحدة . بل لا بد من نضال طويل مستمر لكسب ثقة العناصر الوطنية المتقدمة التى تسند الحكم الوطنى الحالى » .

.. « ان مصلحة الجماهير تكمن فى ان تتقدم خطى الثورة الوطنية

---

(٦٩) المرجع السابق ص ١١٧٣

الديمقراطية وأن تقوم الطبقة العاملة بدور قيادى فيها وأن تكافح من أجل أن تتسلم زمام القيادة السياسية للبلاد »(٧٠) ٠

٠٠ « كما طالبت الوثيقة بالوحدة العربية الشاملة ، وبوجوب انتضامن الوثيق بين بلادنا وبلاد المعسكر الاشتراكى ٠٠ وتحدثت الوثيقة عن أهداف الحزب للسياسة الخارجية وهى صيانة استقلال البلاد وفى السياسة الداخلية هى توسيع الحريات ومساواة المرأة بالرجل وضمان حرية العقيدة للجميع ٠٠ ، وفى السياسة الاقتصادية الى تطوير قانون الاصلاح الزراعى وتعميم التعاونيات وفى السياسة الاجتماعية الى رفع مستوى المعيشة ومجانية التعليم وتأميم الطب »(٧١) ٠

الآن يفتح التاريخ أبوابه ٠٠ لكن البعض يتوقف على عتبتها ثم مجموعة صغيرة) ٠٠ وتلى الجميع القسم وأصدروا لائحة وخطا سياسيا ، وأسسا فكرية وتنظيمية ٠

الآن يفتح التاريخ أبوابه ٠٠ لكن البعض يتوقف على عتبتها ثم يتراجع مصغيا وفقط لحسابات صغيرة ٠٠ ومجدبة ٠

* * *

تمت الوحدة ٠٠ فماذا بعد ؟

يقول محمد الجندى « استمرت المفاوضات مع ع٠ف ، وبدأت ع٠ف فى لعبة غريبة فقد قالت اننا نحن والراية أصبحنا حزبا واحدا (الاتحاد) ومن ثم فهم يطالبون وحدهم بنصف القيادة ونحن الاثنين النصف الاخر ٠٠ وكان نزوع كوادر الوحد وخاصة كوادر حدتو نحو الوحدة جارفا وكذلك كانت الضغوط القاعدية والخارجية كبيرة واستغلت ع٠ف ذلك للحصول على ما لا تستحق من مقاعد فى القيادة ٠٠

والحقيقة انهم قبيل الوحدة وبمناسبتها ادخلوا الى صفوفهم أعدادا كبيرة من العاطفين وذوى العلاقات الهامشية حتى تزداد نسبة عضويتهم ٠٠

والأخطر من هذا كله انه خلال مفاوضات الوحدة كانت أسرار المفاوضات وأسماء الجميع وبلا استثناء يجرى تداولها فى الشارع بحيث

---

(٧٠) المرجع السابق ــ ص ١١٧٣

(٧١) ملف القضية رقم ١٤٠ أمن الدولة عابدين لسنة ١٩٦١ ، ٢٨٢ عليا لسنة ١٩٦١ المتهم فيها أمام محمود رفاعى وآخرون ــ محضر اطلاع النيابة على مضبوطات محمد فؤاد ابراهيم ــ وقد وصفت النيابة الوثيقة بانها مطبوعة بالمطبعة من ثمانى ورقات ــ موقعة باسم الحزب الشيوعى المصرى ومؤرخة يناير ١٩٥٨ ص ٢٤٤ من الملف

أنه عندما تمت حملة القبض فى ١٩٥٩ لم يجد رجال الامن أية صعوبة فى اكتشاف الصف الاول والثانى والثالث من كل المنظمات .. وقد تمت الوحدة سياسيا وأساسا حول خط المساندة لحكم عبد الناصر » (٧٢)

وشاهد آخر .. « عندما تأسس المتحد بدأ رفاق الراية يحسون اننا الأغلبية فى كل مكان فسعوا الى وحدة سريعة مع ع.ف . كذلك فان رفاق ع.ف أحسوا أن لهم الآن سندا وهو رفاق الراية .. وبعض رفاق الوحدة . فقدموا تنازلا عن كل اعتراضاتهم السياسية والتنظيمية وتخلوا عن شرط اسم الحزب (كانوا يصممون على أن يتخذ الحزب الواحد اسم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى (أى اسمهم) وتنازلوا عن شرط الادانة التاريخية ، وعن شروط ادانة يونس وحل مجموعة روما .. الخ وهرولوا هم أيضا باتجاه الوحدة ناسين حديثهم عن الشروط المبدئية وكنا نحن نهرول أيضا .. وأريد أن أسجل دهشتى حول موضوع محدد فقد كنا طوال تاريخنا الماضى نتصور أن رفاق ع.ف يمتلكون تنظيما حديديا ، أو هكذا تصور الجميع على الاقل ، فلما تمت الوحدة اكتشفنا أن ٩٠٪ ممن قدموهم عناصر غير شيوعية ، مجرد عمال ونقابيين عاديين ، يحضرون اجتماعات عادية ، يتردد فيها كلام عادى . أما الشيوعيون الحقيقيون فقد كانوا عددا محددا للغاية ، كذلك كان تواجدهم الجغرافى محدودا فى أماكن قليلة (شبرا الخيمة ـ بعض أحياء القاهرة ـ المنيا ـ بنى سويف ـ الاسكندرية ـ .. وكفر الدوار) .. وأقرر أن معظم ما قدموه من قوائم العضوية كان مجرد أرقام وهمية »(٧٣)

ويقول سعد رحمى كلاما أكثر عنفا .. « ع.ف دخلت الوحدة مرغمة ، فكما يقال أن الحرب هى امتداد للسياسة بشكل آخر فقد كان دخول ع.ف الى الوحدة يستهدف وعن وعى ومنذ اللحظة الاولى ممارسة كامل أساليب ع.ف التاريخية ضد الوحدة ، وانما بتكتيكات جديدة تتفق مع الواقع الجديد ، الذى فرض عليهم بضغوط خارجية وداخلية . وأسجل للتاريخ أنهم كانوا أبعد ما يكونون عن الأمانة فيما يتعلق بأرقام العضوية ويمكنك أن تذكر على لسانى اننى قد حضرت شخصيا اجتماعات للدمج بين المنظمتين وفوجئت بأن ع.ف قد أحضرت اليها أناسا عاديين جدا لا علاقة لهم بالشيوعية لمجرد تسجيلهم رقميا فى كشوف الدمج . وفى الاسكندرية لم يقدموا عضوية حقيقية ومثلهم فى المنطقة أربعة ..

---

(٧٢) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندى ـ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٣/٣/١٢

(٧٣) الرفاعى ـ المرجع السابق .

٠٠ وقد تشكلت قيادة منطقة الاسكندرية من ١٠ أعضاء (٣ موحد ـ ٣ راية ـ ٤ ع٠ف) ولكى نرى حقيقة التضحية التى قدمها رفاق الموحد أقرر أن نسبة العضوية القاعدية فى المنطقة الموحدة بالاسكندرية كانت ١٠ (موحد) الى ٢ (الراية) الى أقل كثيرا من واحد صحيح (ع٠ف) ٠٠ أقول هذا لأننا كنا نأمر بتنزيل كوادر فاعلة جدا وهامة جدا من أبناء حدتو من مواقعها القيادية ليحل محلها أعضاء عاديين من المنظمات الأخرى ٠٠ أسجل أنه لم تكن هناك مجموعة مؤمنة بالوحدة حقا ، ومضحية من أجلها الا مجموعة حدتو » (٧٤)

ونستمع الى فخرى لبيب « الشكل التنظيمى الذى تمت به الوحدة كان خطيرا للغاية ، فقد وقعنا فى خطأ فادح جدا هو حكاية التمثيل فى القيادة على أساس كم العضوية ٠٠ وترتب على هذا أنه وفى فترة ١٩٥٧ وهى فترة مد وطنى جارف ونشاط جماهيرى عارم للشيوعيين تمت حركة تجنيد واسعة جدا وهذا جيد ولكن الحقيقة انه كانت تكمن فى خلفيتها حسابات حصر القوات والتمثيل فى القيادة ولا شك أن هذا الحشد الواسع والمتعجل كانت له آثار سلبية تماما فى مسار الحركة ٠٠

كذلك فان عمليات حصر العضوية كانت بمثابة عملية « فتح بطن » للحزب فقد انتفت كل مظاهر السرية ، بل انتهت تماما ، وأصبح كل شىء مفتوحا أمام أجهزة الامن ٠٠ الأمر الذى عانينا منه فيما بعد ٠

كما أنه وفى خضم الاعداد لعمليات حشد العضوية لم يكن هناك اى حرص فى عملية التجنيد فقد كان المطلوب وفقط : زيادة رقمية فى العضوية ـ تؤدى الى زيادة التمثيل فى القيادة ـ تؤدى الى ـ زيادة فى النفوذ السياسى داخل الحزب ٠٠ ومع فقدان الحذر والتوسع الشديد تسرب العديد من عناصر الامن الى صفوف الحزب ٠٠

ومع كل هذه السلبيات ففى اعتقادى أن وحدة يناير ١٩٥٨ كانت عملا عظيما ، وأعتقد أنه اذا كنا راغبين فى الحفاظ عليها كان يتعين علينا العودة الى تجربة الموحد ٠٠ لكن هذا كان صعبا ٠ وأود أن أقرر أن الكتلة الأساسية من الكوادر والعناصر القيادية كانت توحيدية حقا ، وكان من الممكن تلافى الانقسام وحل كل المشكلات فى اطار الحزب وعلى أساس اللائحة التى كانت ذات نصوص جيدة لكنها لم تنفذ ٠٠ رغم كل شىء أقرر أن وحدة يناير ١٩٥٨ كانت عملا عظيما وكانت يوم انتصار حقيقى وأقيمت بمناسبته مهرجانات احتفالية فى مصر وكل البلاد العربية ٠٠ واذا

---

(٧٤) سعد رحمى ـ محضر نقاش رقم ١ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٣/٩/٢٨

كنت قد ألححت على أوجه القصور فقد فعلت ذلك للاستفادة من الدرس »(٧٥)

وكما اعتدنا فاننا سنحاول أن نجمع بعض شهادات من مواقع سياسية وجغرافية مختلفة ..

عن تجربة الوحدة فى قسم وسط القاهرة يقول فوزى حبشى .. « قسم وسط كان يضم أحياء الوايلى ـ الزيتون ـ العباسية ـ عابدين .. وفى المتحد كانت هناك خلافات لكنها كانت محتملة وعندما أتى رفاق ع.ف اختلطت الأوراق تماما وعندما أعيد توزيعها من جديد اكتشفنا تحالفا بين رفاق الرايه ، ع.ف أما العنصر المحايد فقد كان موجودا ولكنه ضعيف

كان اجمالى عضويه القسم حوالى مائة عضو .. وتقدمت لنا ع.ف بقوائم وهمية تماما . أنا أشهد أن القوائم التى تقدمت بها العمال والفلاحين كانت وهمية تماما . مجرد أرقام ، ومقابل ذلك قدم الطرف الآخر عناصر ضعيفة ولم تكتسب العضوية الشيوعية بعد واذا كان هذا غير جائز فان ع.ف قدمت مجرد أرقام وهمية ، واستمر الصراع فى القسم حول عمليات الحصر شهورا عديدة واستغرق جهدا كبيرا وانتت حملة الاعتقالات ولم يكن الحصر قد تم لسبب بسيط أنه لم تكن هناك عضوية لمنظمة ع.ف .. والقوائم كانت مجرد وهم »(٧٦) .

وعن قسم جنوب القاهرة يقول شحاته النشار « مرة أخرى ـ وبشكل مفاجىء ـ أبلغنا أن الوحدة تمت مع ع.ف وطلب الينا الاستعداد لاستلام عضوية ع.ف .. وتمخض الامر كله فى النهاية عن أربعة أعضاء منهم اثنان شقيقان لأحد قادة ع.ف .. وصعد واحد منهما الى لجنة القسم وللحقيقة فاننى ومنذ اللحظة الأولى لم أشعر بأى ذرة صدق فى نواياه » (٧٧)

.. ومن كفر الدوار تحدث عيد صالح مبروك « ... وبعد فترة أبلغونا أن الوحدة تمت مع ع.ف . واذا أردت أن تعرف الحقيقة عن القوات فان ع.ف قدمت لنا وبالتحديد ثلاثة أعضاء فقط أحدهم كان عضوا قاعديا فى الموحد وقد أغروه بالانضمام اليهم بمقابل أن يصعد الى القيادة (وقد صعد فعلا) والاخر صعد هو الاخر الى عضو فى لجنة المنطقة

---

(٧٥) لبيب ـ المرجع السابق .

(٧٦) حبشى ـ المرجع السابق .

(٧٧) النشار ـ المرجع السابق .

واكتشفنا فى اجتماع المنطقة انه يحضر اول اجتماع شيوعى فى حياته ٠ أما الثالث فقد كان فايز علام وقد أصبح فيما بعد شخصية نقابية بارزة ٠٠٠ وهكذا فقد ضمت ع٠ف ثلاثة أعضاء فقط وفرضتهم على القيادة ليصبحوا جميعا أعضاء فى لجنة المنطقة بما اضطرنا الى استبعاد عناصر من الموحد من القيادة لتفسح مكانا للقادمين الجدد ٠٠ وممن تم تنزيلهم مثلا القائد النقابى البارز محمود عطا الله الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا للنقابة ٠٠ وانتهى الامر بأن تشكلت لجنة المنطقة من ثمانية : المسئول من ع٠ف ثم ثلاثة آخرين من ع٠ف وثلاثة من الراية وواحد فقط هو أنا من الموحد ٠٠ وهذا دليل على اسلوبنا الخاطىء فى تقديم تنازلات خطيرة مقابل الوحدة » (٧٨)

أما عن تجربة الوحدة فى بحرى فيقول عبد الله الزغبى « عندما انضمت ع٠ف للوحدة وتكون الحزب الواحد لم يحدث أيضا تغير يذكر لا فى التركيبة القاعدية ولا فى القيادة فى منطقة بحرى ـ لأن ع٠ف لم تقدم أحدا فى كل هذه المحافظات ٠٠

التغيير الوحيد هو توسيع قيادة المنطقة وعند التوسيع أضيف اثنان هما الشيخ عبد السلام الخشان ورشدى عبد البارى وكلاهما من حدتو ٠

ولم تحدث طبعا اية مشاكل لاننا كنا وحدنا وبقينا وحدنا ولم ينضم الينا أحد لا فى القاعدة ولا فى القيادة »(٧٩)

ويقدم لنا انور ابراهيم (وكان عضوا فى ع٠ف) شهادته عن محافظتين ٠٠ عن محافظة المنيا يقول « لم يكن هناك غش فى القوائم ع٠ف قدمت حوالى ٥٠ عضوا أغلبهم طلاب وصغار موظفين والراية قدمت ٤٠ أغلبهم من ملوى وللموحد عشرة أعضاء وتشكلت لجنة المنيا بمسئولية لرييس اسحق (عضو ل٠م) وآخرون من ع٠ف ثم ثلاثة من الراية واثنان من الموحد وعندما انضممنا نحن الى الوحدة سرعان ما انحاز لنا رفاق الراية ضد رفاق الموحد » ٠

ثم يمضى مقدما شهادته عن الوضع فى بنى سويف « أصبحت محترفا وتوجهت للعمل فى بنى سويف واتخذت كستار وظيفة مدرس فى المدرسة الخاصة التى كان يمتلكها محمد شبل اسماعيل (عضو ع٠ف) ٠٠ كانت ع٠ف تمتلك عضوية ضخمة تصل الى حوالى ١٠٠ عضو لكن أغلبيتهم كانوا جددا ، وليس لديهم اية تربية شيوعية حقيقية ، ومعظمهم مرتبطين أساسا

---

(٧٨) مبروك ـ المرجع السابق .

(٧٩) الزغبى ـ المرجع السابق .

بمدرسة شبل (أساتذة وطلابا) وكان شبل نفسه قد بدأ علاقته بمنظمة ع٠ف فى ١٩٥٦ فقط ٠٠ أى أن كل شىء كان جديدا ٠ ٠

أما الموحد فقد كان لديه حوالى ٢٠ عضوا أما الراية فلم تتقدم أحدا على الاطلاق ٠٠٠ وتشكلت لجنة المنطقة من ٩ أعضاء ستة من ع٠ف وثلاثة من الموحد أحدهم فلاح محترف من سمسطا أما المسئول فكان يأتى من القاهرة فقد كان مسئول المنطقة يتعين أن يكون عضوا فى ل٠م٠ وأتى الينا وفى البداية شكرى عاذر ثم تلاه محمد سيد أحمد ٠٠

٠٠ ولم تكن هناك صراعات شديدة سواء فى بنى سويف أو المنيا فقد كانت الغلبة لنا ٠٠ وأقرر أن الضربة البوليسية عندما أتت أجهزت على كل شىء فى بنى سويف فقد كان أسلوب العمل جماهيريا فى أغلبيه سواء بالنسبة لحدتو أو لمجموعة شبل ٠٠ أما فى المنيا فقد كان المبوض عليهم عدد قليل حيث كانت تقاليد ع٠ف أعمق ٠ وأود بهذه المناسبة أن اسجل أن بنى سويف قد قدمت شهيدين فى المعتقلات لا يذكرهما أحد هم سعد التركى وعبد القادر مفتاح » (٨٠)

ولقد أوردنا شهادات عديدة ولعلها تقدم صورا متناقضة ٠

ولسنا نورد هذه الشهادات الا لتجميع الصورة الذى تمكن القارىء الى أن يفطن الى حجم الاختلاف وحجم الفارق فى التصورات والمسافة التى كانت تفصل بين الأطراف ٠٠ والتى لم تزل باقية حتى الآن ٠

لسنا نورد هذه الشهادات للاخذ بها على علاتها ٠ فثمة شهادات أخرى مضادة سنورد بعضها منها ٠

٠٠ وليس معنى هذا أن الجميع أو أن البعض لا يقول الصدق ٠٠ فقط معناه أن المعلومات اختلفت مصادرها ، وان الرؤى اختلفت توجهاتها ٠٠ وأن المسالك تقاطعت فرأى كل فريق المواقع التى عاشها أو التى يريد رؤيتها فقط ، وبالمنظار الذى يريد وفقط ٠٠ واذ نورد كل الرؤى فاننا نعتقد أننا نتيح للقارىء فرصة التعرف على كامل زوايا المشكلة ، وأفكار وتناقضات أطرافها ٠٠ ومن الصورة الاجمالية التى قد تبدو مبعثرة يمكنه ان يلتقط المنظر العام للساحة كما كانت ، وليس كما يريد طرفا بعينه أن يصورها ٠

بعد أن استمعنا الى هؤلاء ٠٠ فلم لا نستمع الى الطرف الاخر ٠٠

يقول محمد حلمى يس « أنا كنت المسئول التنظيمى ٠٠ وأقرر ان ع٠ف لم تقدم أية قوائم وهمية هذا غير صحيح اطلاقا ٠ لقد كانت

---

(٨٠) ابراهيم ـ المرجع السابق .

قوائمنا هي الأقرب الى الصدق والى الصحة ·· بينما أعتقد أن الاخرين قد قدموا قوائم وهمية فى بعض الأماكن ··

اما القول باننا لم نقدم أحدا فى بحرى فكيف وأنا أعلم علم اليقين انه كان لنا نشاط هام فى المحلة وفى سمنود ، أما قصة أننا قدمنا أربعة فقط فى الاسكندرية · فهذا أيضا غير صحيح وأنا أعرف مدى حجم عضويتنا بالاسكندرية ··

صحيح أن هناك بعض أعضائنا قد رفضوا تسليم أنفسهم للوحدة الجديدة ـ كنتيجة للشكوك التاريخية القديمة فى حدتو والراية ، ولكن هؤلاء كانوا أقلية وليس معنى هذا أننا حجبناهم بل على العكس لقد دفعناهم بينما هم أنفسهم تباعدوا ··

وأنا كنت مسئول التنظيم فى الحزب الواحد ومررت على أقسام عديدة ومناطق عديدة ولم أسمع يوما أن هناك قوائم وهمية ، فقط كان هناك البعض الذى رفض تسليم نفسه كما قلت » (٨١)

وعلى أية حال ·· وبرغم كل شىء ·· تمت وحدة الغالبية العظمى من الشيوعيين ·

ولعل القارىء يدهش من الحاحى على ذكر عبارة « الغالبية العظمى » بدلا من « كل » فالحقيقة انه قد ظلت خارج اطار الوحدة مجموعة صغيرة للغاية ·· سوف يتحتم علينا أن نلقى الضوء عليها فى فصل لاحق ·

* * *

(٨١) يس ـ المرجع السابق .